جامعة المنصورة
كلية التربية

ما بين الحِجاج والبرهان والاستدلال

إعداد

أسعد بن سالم بن محمد المالكي

طالب دكتوراه بكلية الآداب جامعة الملك فيصل بالدمام
المملكة العربية السعودية

مجلة كلية التربية – جامعة المنصورة

العدد ١٢٠ – أكتوبر ٢٠٢٢

ما بين الحِجاج والبرهان والاستدلال

أسعد بن سالم بن محمد المالكي

طالب دكتوراه بكلية الآداب جامعة الملك فيصل بالدمام

المملكة العربية السعودية

المستخلص

تطرق هذا البحث إلى موضوع الحجاج والبرهان والاستدلال وما بينهم من تقاطعات في المصطلحات مع بيان أوجه الاختلاف وأوجه الشبه بينهم، وذلك من خلال الوقوف على رصد المفاهيم اللغوية وفق ما وردت في المعاجم، وكذلك الفصل فيها من وجهة نظر المختصين والمهتمين في مجال الحجاج الذين باينوا وغايروا بينها، حيث انتهج الباحث في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي لما يفيد في وصف الظواهر الحجاجية، والبرهانية والاستدلالية وأيضا تناول الفرق بين الحجاج والبرهان والاستدلال، بالإضافة إلى الدلالة اللغوية لكل من الحجاج والبرهان والاستدلال، والخطاب الحجاجي وأثر الحجاج على الاستدلال والبرهان، وغيرها من المواضيع التي تأتي فيما بعد متضمنة في مباحث البحث.

وتوصل البحث إلى عدة نتائج أبرزها: أن كلاً من الحجاج والبرهان غايته الوضوح، وإزالة اللبس والغموض عن القضايا المدافع عنها حتى تصير واضحة لا يعتريها أي لبس، والاستدلال هو المصطلح الأعم الذي يشمل الحجاج والبرهان، فكل حجاج استدلال، وليس كل استدلال حجاجاً، وكل برهان استدلال وليس كل استدلال برهاناً. والبرهان آلية استدلالية فقيرة مقارنة بالحجاج. الاستدلال الحجاجي هو خاصية ملازمة للخطاب الطبيعي، لا اللغات الاصطناعية والرمزية مثل المنطق، أما البرهان يهتم بترتيب الحقائق، بعكس الحجاج الذي يهتم بترتيب القيم المتعلقة بالمحتمل.

وأوصى الباحث بالاهتمام بدراسة الاستدلال البرهاني لأنه يقوم بترتيب الحقائق، بعكس الحجاج الذي يهتم بترتيب القيم المتعلقة بالمحبذ والمحتمل، ودراسة دور الأساليب الحجاجية في الكشف عن المعنى في الخطابات الأدبية. كما يوصي بالتوسع في دراسة مصطلحات الحجاج والبرهان وأثرها على الخطاب اللغوي.

الكلمات المفتاحية: *الحجاج – الأساليب الحجاجية– الاستدلال البرهاني.*

Abstract

This research touched on the subject of pilgrims, proof and inference, and the intersections between them in terminology with a statement of the differences and similarities between them, by standing on the monitoring of linguistic concepts according to what was mentioned in the dictionaries, as well as deciding on them

from the point of view of specialists and those interested in the field of pilgrims who indicated and differed between them. In this research, the researcher adopted the descriptive-analytical approach for what is useful in describing the argumentative, demonstrative and inferential phenomena, as well as dealing with the difference between arguments, proof and inference, in addition to the linguistic significance of each of arguments, proof and inference, argumentative discourse and the impact of arguments on inference and proof, and other topics that come later. Included in the research topics.

The research reached several results, the most prominent of which are: that both the pilgrims and the proof aim at clarity, removing confusion and ambiguity from the defended issues so that they become clear and unambiguous. And inference is the general term that includes arguments and proof. The proof is a poor inferential mechanism compared to the pilgrims. Argumentative inference is a feature inherent in natural discourse, not artificial and symbolic languages such as logic. Proof is concerned with the arrangement of facts, in contrast to argumentation, which is concerned with the arrangement of values related to the probable.

The researcher recommended paying attention to the study of demonstrative inference because it arranges the facts, in contrast to Al-Hejjaj, who is interested in arranging values related to what is desirable and probable, and studying the role of argumentative methods in revealing meaning in literary discourses. He also recommends expanding the study of the terminology of Al-Hejjaj and Al-Burhan and their impact on the linguistic discourse.
Keywords: arguments - argumentative methods - demonstrative reasoning.

المقدمة

يقوم التخاطب الإنساني على عمليات تواصلية معقدة، تزداد تعقيداً كلما انتقلنا من التخاطب اليومي للتداول إلى التخاطب الأدبي التخيلي، وذلك أن اللغة تكتنفها مقاصد معينة وهذه المقاصد والخبايا قد تنطوي على حجج تعمل على تحريكا المتلقي للاقتناع بالفكرة، ولعل ذلك ما يفسر بروز الدراسات التي تختص بالحجاج وتوليه مكانة مميزة في الدرس اللغوي.

بدأت الدراسات الحجاجية –منذ خمسينيات القرن العشرين– تتخذ سمة الاستقلالية في أبحاث الدارسين، وقد حظي الحجاج بجهود مستفيضة من طرف علماء المنطق والفلاسفة واللسانيين ومحللي الخطاب، على أساس أن اللغة تحمل في طياتها بعداً حجاجياً موجهاً نحو المتلقي بغية التأثير عليه وإقناعه.

وقد يحتاج الكثير من الأشخاص إلى فهم العديد من المصطلحات التي تختص بالدلائل والتفكير لتوضيح الحقائق في مختلف المواضيع ، وهذا ما يعرف بالاستدلال والبرهنة في المعلومات ، كما أن الاستدلال يعرف بأنه تقديم دليل أو إثبات لأمر ما أو قضية معينة، كما أنه

عملية تفكيرية تختص بوضع الحقائق أو المعلومات بشكل منظم ودقيق، مما يؤدى في نهاية الأمر لاستنتاج قرار معين لحل مشكلة أو أمر ما ولكن الاستدلال يحتاج لمستند ولقواعد معينة غير العاطفة والشعور، أما البرهنة فهي التأكيد على المطلوب. و دراسة الحجاج تهدف إلى تحديد دور الحجج وتقويمها، ومدى قدرتها على إحراز الإقناع، وتحديد مدى تجانس الحجج بعضها مع البعض الآخر؛ أي البحث في العلاقات القائمة بين المقدمات والنتائج الواردة في المحتوى الكلامي مثلاً.

ولذلك سيلقي هذا البحث الضوء على الحجاج والبرهان والاستدلال، وما بينهما من أوجه التشابه وأجه الاختلاف، دارسة حجاجيته من وجهة نظر تداولية، محاولاً في ذلك الكشف عن التقاطعات بين كل منهم، فكان موسوما بـــما بين الحجاج والبرهان والاستدلال ".

في هذا البحث يناقش مفهوم الحجاج والبرهان والاستدلال والعلاقة بينهم، وأوجه الشبه والاختلاف بينهم من الجانب الدلالي ومن الجانب المنطقي الطبيعي ومن الجانب المنطقي الصوري.

سبب اختيار الموضوع

أهمية موضوع الحجاج والبرهان والاستدلال، وكونه موظف في جميع أنواع الخطابات والبراهين ولذلك من أسباب اختيار هذا الموضوع:

١) قلة الدراسات المتعلقة بالتباين والتقاطع بين كل من الحجاج والبرهان والاستدلال.
٢) الرغبة في التعرف على أهم مفاهيم الدرس الحجاجي.
٣) التعريف بالنظريات الحججية الحديثة.
٤) أيضاً تلك العلاقة الموجودة بين الاستدلال والخطاب الحجاجي والبرهان.

أهداف البحث

١- هدِف هذا البحث إلى توضيح العلاقة بين الحجاج والبرهان.
٢- بيان الغاية من الحجاج ومن البرهان.
٣- منح الباحث خلفية نظرية عميقة وآليات مقاربة فعالة تُسعفه في فهم الحجاج والبرهـــان الاستدلال.
٤- الكشف عن مجال اشتغال الحجاج والبرهان الاستدلال.
٥- الجمع بين مواضيع الحجاج والاستدلال والبراهين.

٦- التفريق بين الحجاج والبرهان الاستدلال من الجانب الدلالي والمنطق الطبيعي والمنطق الصوري .

٧- الكشف عن التباينات والتقاطعات بين كل من الحجاج والبرهان الاستدلال.

أهمية البحث

مع مناقشة أثر الحجاج على البرهان وأثر الحجاج على الاستدلال، لتكون مثل هذه المباحث والحوارات بأساليبها وطرائق عرضها وملابساتها مثال يحتذى لمن يتصدى للحجاج والاستدلال والبرهان وأثر ذلك، كما تكمن أهمية هذا البحث في الكشف عن التباينات والتقاطعات بين كل من الحجاج والبرهان الاستدلال.

حدود البحث الزمانية: عام (٢٠٢١م – ٢٠٢٢م).

منهج البحث

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، وهو مناسب لهذا النوع من الدراسات لما يفيد في وصف الظواهر الحجاجية وتجلياتها، وتحليل الشواهد وفق آليات الحجاج.

خطة البحث

يتكون هذا البحث من: **مقدمة** وفصلين

- **الفصل الأول بعنوان: مفهوم الحجاج والبرهان والاستدلال لبيان وظائف كل منهم**

ويتكون من ثلاثة مباحث:

١) المبحث الأول: مفاهيم لغوية.

٢) المبحث الثاني: مفاهيم اصطلاحية.

٣) المبحث الثالث: أنواع ونشأة كل من الحجاج والبرهان والاستدلال.

- **الفصل الثاني: أوجه الاختلاف والتشابه بين الحجاج والبرهان والاستدلال:**

ويتكون من ثلاثة مباحث:

١) المبحث الأول: الاختلاف والتشابه بينهم من الجانب الدلالي.

٢) المبحث الثاني: الاختلاف والتشابه بينهم من الجانب المنطقي الطبيعي.

٣) المبحث الثالث: الاختلاف والتشابه بينهم من الجانب المنطقي الصوري.

- **الخاتمة: وتحتوي على النتائج والتوصيات والمراجع**

الفصل الأول:

❖ مفهوم الحجاج والبرهان والاستدلال ووظائف كل منهم.

تمهيد

شكل الحجاج مجموعةً كبيرةً من الكتابات والمرجعيات النظرية تتجاذبه العديد من المجالات والتخصصات،" إذ نجده متواتراً في الأدبيات الفلسفية والمنطقية والبلاغية، وفي الدراسات القانونية، والمقاربات اللسانية والنفسانية والخطابية المعاصرة([1])، وهذا ما جعل مفهوم الحجاج يذخر بمفاهيم ووظائف وتنظيرات مختلفة، تتداخل معه الكثير من المصطلحات؛ لذا ستتقصى هذه الدراسة أوجه الأثر –التداخل والتعارض– بين كل من الاستدلال الحجاجي والاستدلال البرهاني؛ محـــاولة إزالة اللثام عن إشكالية كانت مدخل عنوان دراستنا، مفادها: ما بين الحجاج والبرهان والاستدلال، وللإجابة عن هذه الإشكالية كان لزاماً منا انتهاج كل من المنهج المقارن والوصفي؛ لما تقدمه هذه المناهج من تقنيات تساعد في الوقوف على جوهر الأشياء؛ لتحديد ماهياتها ومفصلاتها وجزئياتها الفارقية لاستخراج التقاطعات والتباينات التي تعتريها.

المبحث الأول: مفاهيم لغوية:

أولاً: مفهوم الحِجاج لغةً

يلفظ بكسر حرف العين، وهو مفهومٌ مشتقٌ من الجذر الثلاثي حججَ([2])، بمعنى استخدام البرهان عند الدفاع عن رأي ما، ويعرف الحِجاج بأنه الاتفاق على رأيٍ مُعيّن بين مجموعة من الأشخاص، ويعتمدون على مجموعة من البراهين التي تدلّ عليه، ومن تعريفاته أيضاً هو مجموعة من النظريات التي تهتم بكافة أنواع العلوم، والمعارف، فتقيم عليها الدلائل لبيان مدى تماشيها مع الغرض المرتبطة فيه.

ويشتق الحجاج عند ابن منظور، كما في قاموسه (لسان العرب)، من" حاججته أحاجه حجاجا ومحاجة حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها، والمحجة: الطريق؛ وقيل: جادة الطريق؛ وقيل: محجة الطريق سننه. والحجة: البرهان؛ وقيل: الحجة ما دوفع به الخصم؛ وقال الزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة. وهو رجل محجاج أي جدل.

١– محمد طروس، النظرية الحجاجية، من خلال الدراسات الحجاجية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٥: ص٦.

٢ – المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية بالقاهرة. الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية: ص٦٦–٦٧.

والتحاج: التخاصم؛ وجمع الحجة: حجج وحجاج. وفي الحديث: (فحج آدم موسى) أي غلبه بالحجة. واحتج بالشيء: اتخذه حجة؛ قال الزهري: إنما سميت حجة لأنها تحج أي تقصد ألن القصد لها وإليها؛ وكذلك محجة الطريق هي المقصد والمسلك. وفي حديث الدجال: (إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه) أي محاجه ومغالبه بإظهار الحجة عليه، والحجة: الدليل والبرهان. [١]

ثانياً : البرهان لغةً

بُرهان: (اسم) والجمع: بَراهينُ

البُرْهان: الحُجَّة البيِّنة الفاصلة[٢] البُرْهان (عند المَنْطِقِيِّينَ) : استدلال ينتقل فيه الذهن من قضايا مسلَّمة إلى أخرى تنتُج منها ضرورةً وعند المناطقة القُدامى: أسْمَى صور الاستدلال لأنه يقوم على أساس من مقدمات يقينية، وينتهي تبعا لذلك إلى نتائجَ يقينية.

والبُرْهان: الحُجَّة البيِّنة الفاصلة.

البرهان هو الدليل الذي يظهر به الحق، ويتميز عن الباطل.

برهان قاطع: أي مقنع يقطع الحجّة. الفعل برهنَ يبرهن، بَرْهَنَةً، فهو مُبرهِن، والمفعول مُبرهَن وبَرْهَنَ النَّظَرِيَّةَ، أو بَرْهَنَ عَلَيْها: أَثْبَتَها بِالبُرْهانِ والحُجَّةِ.

بَرْهَنَ على كَفاءتِه: أَثْبَتَها، أَتَى بِما يُثْبِتُها، والبُرْهانُ: الحُجَّةُ، وبَرْهَنَ عليه: أقامَ البُرْهانَ.

وفي القاموس المحيط: برهنَ يبرهن، بَرْهَنَةً، فهو مُبرهِن، والمفعول مُبرهَن :

برهن صحَّةَ النَّظريَّة: برهن على صحَّة النَّظريَّة أتى بالدّليل على صِحّتها: برهن على حسن نيّته أي صحّة ادّعاءاته.

برهن: ، قال الله عز وجل: قُل هاتوا بُرْهانَكم إن كنتم صادقين؛ البُرْهان الحُجّة الفاصلة البيّنة، يقال: بَرْهَنَ يُبَرْهِنُ بَرْهَنةً إذا جاء بحُجّةٍ قاطعة لِلَدَد الخَصم، فهو مُبَرْهِنٌ.

ثالثاً: الاستدلال لغةً:

عرفه الجرجاني:" الاستدلال بأنه: هو تقرير الدليل لإثبات المدلول"[٣]. وعرفة الكفوي بقوله:" الاسْتِدْلَال لُغَة هو: طلب الدَّلِيل وَيُطلق فِي الْعرف على إِقَامَة الدَّلِيل مُطلقًا من نَص أَو إِجْمَاع أَو غَيرهمَا، وعَلى نوع خَاص من الدَّلِيل وَقيل: هُوَ فِي عرف أهل الْعلم تَقْرِير الدَّلِيل

١- ابن منظور ٢٠٠٣، حرف الحاء مادة حجج

٢- أحمد الشرقاوي، معجم المعاني الجامع، دار الغرب الإسلامي، ط٢، ١٩٩٣

٣- الجرجاني علي بن محمد، معجم التعريفات ، ١٩٨٣، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ،ص ١٧

لإِثْبَات الْمَدْلُول سوَاء كَانَ ذَلِك من الْأَثر إِلَى الْمُؤثر أَو بِالْعَكْسِ" وعرفه التهانوي قائلا:" الاستدلال في اللغة طلب الدليل" [١]. والدليل في اللغة هو:" المرشد إلى المطلوب"[٢].

فالاستدلال هو طلب الإرشاد والاهتداء إلى المطلوب. عرفه أبو البقاء الفتوحي الدلالة بقوله: ما يلزم من فهم شيء فهم شيء آخر؛ أي ما يرشد إلى فهم شيء من شيء أخر[٣]. وعرفه أبو يعلى الفراء بقوله:" وأما الدلالة: فهي مصدر قولهم: دلَّ يدلُّ دلالة، ويسمى الدليل دلالة على طريق المجاز[٤]. فالدليل: مأخوذ من الدلالة، ومعناها الإرشاد [٥] .

المبحث الثاني: مفاهيم اصطلاحية

أولاً الحجاج اصطلاحاً:

تقترب الدلالة اللغوية من الدلالة الاصطلاحية للحجاج في الدراسات الفلسفية الحديثة التي تتفق فيما بينها على كون الحجاج عملية اتصالية تعتمد الحجة المنطقية – بالأساس– ووسيلة لإقناع الآخرين والتأثير فيهم؛ لذلك يتخذ الحجاج مفهومين[٦].

أولا: طريقة التحليل والاستدلال: بقصد تقديم مبررات مقبولة في الاعتقاد والسلوك.

ثانيا: عملية اتصالية يستخدم فيها المنطق للتأثير على الآخرين. (هذا حجاج وهناك فرق بين الحجة والحجاج)، لأن الحجة هي مصدر للفعل حاجج [٧]، ومعناه الغلبة عن طريق الإدلاء بالحجج والدلائل، أيضاً هو مصطلح يدل على نوع الاستدلال الخاص باللغة الطبيعية كما تتجلى في الألسن الطبيعية من حيث أنه استدلالاً متميزاً، إلى حد بعيد،

١- التهانوي ، محمد علي ، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، تحقيق علي دحروج، ط١، ١٩٩٦، مكتبة لبنان، ص ١٥١

٢- أبو يعلي محمد بن الحسين ابن الفراء ،العدة في أصول الفقه الجزء الأول ،جامعة الملك سعود، ١٩٩٠ ، ص ١٣١.

٣- الفتوحي، تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد المعروف بابن النجار الحنبلي، شرح الكوكب المنير ،تحقيق :محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، ١٩٩٧ ، ص١٢٥

٤- أبو يعلي محمد بن الحسين ابن الفراء ،العدة في أصول الفقه الجزء الأول ،جامعة الملك سعود، ١٩٩٠ ، ص ١٣٣.

٥- الغزي محمد صدقي، الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية ، مؤسسة بيت الرسالة، بيروت، لبنان، ط٤، ١٩٩٦،ص٢١٦

وانظر : إبراهيم أنيس وآخرون ، المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٤، ص ٢٩٤.

٦- عباس حشاني، مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، ص ٢٦٧-٢٦٩.

٧- مجمع اللغة العربية بالقاهرة. المعجم الفلسفي. الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية: ص٦٧.

عن الاستدلال الصوري في اللغة الاصطناعية الذي يُسمِّى البُرهان [١]. فالحِجاج هو التبادل الخِطابي للحُجَج (جمع "حُجَّة") طلباً للإقناع عن طريق ما يُتيحه اللسان الطبيعي المستعمل كـــكفاءة لغوية مُحدَّدة من الناحيتين اللسانية والتداولية[٢]. وتتعلق دراسة الحِجاج بعدة مجالات تشمل المنطق والبلاغة وفلسفة اللغة واللسانيات والتداوليات وتحليل الخطاب وفن المناظرة والحوار[٣].

الأصل الاشتقاقي:

لفظ الحِجاج اسم مشتق من فعل حَاجَّه بمعنى حَاوَرَه. فهو والمُحاجَّة سيان في الدلالة على التبادل والتفاعل. ولأنه يرتبط اشتقاقيا بلفظ الحُجَّة (جمعها "حُجَجٌ")، فإنه يدل على الحوار القائم على تبادل "الحُجَج" بخصوص قضية أو مسألة أو دعوى يُراد إثباتها أو إبطالها في إطار المناقشة مع المخاطب أو المحاور [٤].

من خلال تأمل المعاجم العربية يخلص الباحث إلى الدلالات والمعاني التالية:

الدلالة الأولى: القصد.

الدلالة الثانية: المخاصمة والمغالبة بقصد الظفر، حيث يأتي "الحِجاج" و"التحاجج" بمعنى الخصومة وذلك باعتبار ما في هذا المصطلح من المغالبة وقصد الظفر يقال: "حاججت فلانا فحججته أي غلبته بالحجة، وذلك الظفر يكون عند الخصومة"[٥].

قال في اللسان: "والتحاجج: التخاصم[٦].

الدلالة الثالثة: الإحاطة والصلابة، ويدل عليها قوله: "الحجاج العظم المستدير حول العين"[٧].

الدلالة الرابعة: النكوص، التوقف، الارتداع، وبدل عليها لفظ "الحجحجة" حيث يقال: حجحج عن الشيء: كف عنه.

١- المعجم الفلسفي، وهبة، مراد ادار القباء الحديثة. (٢٠٠٧): ص٢٦٦.

٢- مجمع اللغة العربية بالقاهرة. المعجم الفلسفي. الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية. ص ٦٧.

٣- وهبة، مراد (٢٠٠٧). المعجم الفلسفي. دار القباء الحديثة. ص ٢٦٦.

٤- ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مادة حجج، دار صادر، بيروت، لبنان، مج ٢، ط ١٩٩٧: ص٥٧٠.

٥- ابن منظور، لسان العرب، المرجع السابق.

٦- المصدر نفسه.

٧- ابن فارس، معجم مقاىيس اللغة ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩، مادة / حجج، ٣٠/٢.

والذي يهمنا في هذا المقام، هو الحجاج البلاغي الذي يخضع في بنائه وترتيبه لقواعد اللغة بنحوها وبلاغتها ويتميز بـــ :

١. اشتراطه لرغبتين: إرادة المتكلم، وإرادة المتلقي.

٢. خضوع حججه للتراتيبية والتنظيم.

٣. اشتماله على البعد الاستدلالي والبعد الإقناعي، والجمع بين البيان والبديع "[١]..

ولما كان الهدف الأساسي للخطاب الحجاجي هو الوصول إلى إقناع السامع بفكرة معينة، أخذ منها موقف الرافض أو المتشكك، ومن ثم يقول المتكلم بإبطال الفكرة المراد نقضها، والتي تكون هي المسيطرة على ذهن المتلقي، ثم إحلال مكانها الفكرة التي جيء بالحجة من أجل إثباتها، فنجد كل الذين تعرضوا لتعريف الحجة أو الحجاج راعوا هذه النقطة فهم يقولون مثلاً:

الحجاج خطابة تستهدف استمالة عقل المتلقي، والتأثير على سلوكه أي الاقناع"[٢].

وقال المسعودي: "إن الخطاب الحجاجي موجه للتأثير على آراء وسلوكيات المخاطب أو المستمع، وذلك بجعل أي قول مدعم صالحاً أو مقبولاً كنتيجة بمختلف الوسائل، فنقول على سبيل التعريف إن المعطاة – الحجة تهدف إلى إثبات أو نقض قضية "[٣].

ثانياً: البرهان اصطلاحاً

البرهان هو الدليل أو بيان الحجة كما في مفردات الراغب الأصفهاني، وهو عملية استدلالية هدفها تأكيد صحة قضية ما من عدمها، وعلى عكس الاستدلال، حيث إن الاستدلال هو البحث عن دليل أو حجة، بينما تبنى البرهنة على الحجج أو الأدلة الثابتة الموجودة، والبراهين المتعددة والمختلفة، ويجب أن تكون هذه الأدلة صحيحةً، وصادقةً، ولا تشتمل على مقدمات تفترض القضية المطروحة، وإلا نتج عنها نتيجة خاطئة، أو ما يسمى بالدليل الدائر، والبرهان وحده من بين أنواع القياس الخمسة، حيث يصيب الحق ويستلزم اليقين بالواقع.

البرهان يكون مباشراً، بمعنى أنه قد يتألف من سلسلة استنتاجات، تكون مقدماتها عبارة عن أدلة أو قضايا مستدل عليها من حجج، أو قد يكون البرهان غير مباشر، بمعنى أنه يُستدل عليه من خلال افتراضات إضافية.

١- المرجع نفسه ص ١١٠.

٢- جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب، القاهرة، د ط ، ٢٠٠٠ ، ص٧

٣- الحواس مسعودي، البنية الحجاجية في القرآن الكريم "سورة النمل نموذجا"، مجلة اللغة والأدب، العدد ١٢ ، ص ٣٢٩

والبرهان أقوى الحجج ويفيد الصدق ولذلك كان مطلباً قرآنياً في الحجاج {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}[٢] وهو علم ولذلك اقترن بالإبانة والوضوح في سياق واحد {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا}"[١]، فالبرهان في هذه الآية الكريمة يتوسط موضوع النبوة باعتبارها أرقى شهادة إنسانية في طريق المعرفة والحق الذي هو الواقع بعينه وضلال أهل الهوى بسبب إعيائهم عن إتيان البرهان، وكل هذه المقاربات تؤدي بنا الى نتيجة مهمة ألا وهي: إن البرهان علم، ويأتي بمعنى الدليل بشكل دقيق ومباشر {أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }[٢]إذن بناءً على ما سبق ، فمن معاني العلم هو البرهان.

ثالثاً الاستدلال اصطلاحاً:

الاستدلال: هو تقديم الدليل أو طلبه ليتم اثبات أمر أو قضية معينة، كما إنه عملية تفكيرية تم وضع الحقائق بداخلها والمعلومات بشكل منظم.

كما أن الاستدلال هو كل انتقال من حكم إلى آخر من خلال مبادئ محددة للوصول إلى نتيجة أو خلاصة. ويمكن التمييز بين نوعين من الاستدلال في الميدان العلمي، وهما:

• الاستقراء، ويتمثل في الانتقال من معرفة حالات خاصة إلى القوانين (أو الخواص) التي تنظمها، من خلال دراسة عدّة أمثلة متجانسة.

• الاستنتاج، ويتمثل في النَّص، انطلاقا من قضية أو عدة قضايا تعتبر مقدّمات، على قضية هي النتيجة الحتمية.

فالاستدلال يمثل السياق العقلي والتطور المنطقي للحجاج ولذلك نجد أن الاستدلال يرتبط بالحجاج، فمثلاً إذا أعدنا النص الحجاجي إلى أبسط صوره وجدناه ترتيباً عقليا للعناصر اللغوية، ترتيباً يستجيب لنية الإقناع، وعليه نخلص أن الاستدلال أيضاً يرتبط بالبرهنة من جهة وبالإقناع من جهة أخرى ([٣]).

ومنه لا ضير أن تنتقل أوصاف الدليل في المنطق إلى علم الكلام، ثم منها إلى علم الأصول، فإلى علم البلاغة وتتلون هذه الأوصاف بلون علم من هذه العلوم، ثم تنتقل هذه الألوان

١- سورة البقرة الآية: ١١١

٢- سورة النمل الآية ٦٤.

٣- عباس حشاني، مجلة المخبر، العدد التاسع، ٢٠١٣م، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر، ص ٢٧٣.

المختلفة على علم أخر، وما هذا وذاك –حسب طه عبد الرحمن– إلا أن التراث العربي ينزع نزعة تكاملية ([1]).

وتأسيساً على ما سبق فإن مفهوم الاستدلال مرتبطٌ بجميع الحقول المعرفية، والعلم لا يقوم إلا بالدليل والشاهد والحجة، ومنهجية في النظر، فهو "آلةٌ من أليات الاجهاد بالرأي في استنباط الأحكام([2]).

وإذا كانت كل منهجية تفرض طريقةً خاصةً في الاستدلال، إلا أن المشترك هو أن الاستدلال ينطوي على عملياتٍ منطقيةٍ ولغويةٍ، لا تتأسس وتتجلى إلا في "الخطاب"، فلا استدلال دون خطاب يحتويه ويناصره، ومقتضى هذا الطرح "لا وجود لخطاب خارج الحجاج، ولا حجاج بلا تواصل باللسان"، مادام أن الاستدلال أعم من الحجاج، فالحجاج مقصورٌ على الخطاب الطبيعي، الغني بآلياتٍ حجاجيةٍ لسانيةٍ، المنزاح في دلالته، عكس الخطاب الصناعي، الثابت الدلالة.

الاستدلال في الاصطلاح والعرف يطلق على إقامة الدليل مطلقا من نص أو إجماع أو غيرهما، على نوع خاص من الدليل، وقيل هو في عرف أهل العلم تقرير الدليل لإثبات المدلول سواء كان من الأثر إلى المؤثر أو بالعكس. وقال الجرجاني: الاستدلال هو تقرير الدليل لإثبات المدلول.

وتشير عدة موسوعات علمية ومراجع في علم النفس المعرفي إلى أن لفظ "الاستدلال" يستخدمُ للدلالة على معانٍ مختلفة؛ من بينها:

التعقل أو التفكير المستند إلى قواعد معينة، مقابل العاطفة والإحساس والشعور. والدليل أو الحجة، أو السبب الداعم لرأي أو قرار أو اعتقاد. وكذلك هو العملية العقلية أو المَلَكة التي يتم بموجِبها التوصُّل إلى قرار أو استنتاج. كما أنه يعني الإقناع مقابل الإيمان الفطري أو الأعمى في اللاهوت.

ويعرِّف باير (Beyer, 1987)الاستدلالَ بأنه: مهارة تفكيرية، تقوم بدور المسهِّل لتنفيذ أو ممارسة عمليات معالجة المعلومات التي تضم التفسير والتحليل والتركيب والتقييم، ويضعه في المستوى الثالث من عمليات التفكير المعرفية بعد استراتيجيات التفكير المعقدة، (وهي حل

١- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان: ص١٣١.

٢- أحمد كروم، الاستدلال في معني الحروف، دراسة في اللغة والأصول، ط١، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش: ص٥٤.

المشكلات، واتخاذ القرار، وتكوين المفاهيم)، ويصنف الاستدلال ضمن مهارات فرعية؛ هي: الاستدلال الاستقرائي، الاستدلال الاستنباطي، والاستدلال التمثيلي.

ولما كان الاستدلال طلباً للدليل، وإعمالاً للنظر والفكر فإن له مكونات منها:

المستدل: وهو الطالب للدليل، والعارض بلغة الحجاج لدعواه.

المستدل له وهو المعترض الذي يطلب دليلاً على صحة دعوى العارض.

المستدل عليه: وهو الرأي والدعوى المراد الإقناع به.

الدليل: وهو الحجة والبرهان المقدم لتأكيد صحة الدعوى.

ويمكن أن تمثل بهذا المثال لمزيد من التبسيط قال زيدٌ لعمرَ: أكادير مدينة سياحية، لنسافر إليها فالمستقبل هو زيدٌ، والمستدل له وهو عمر المستدل عليه السفر على مدينة أكادير، الدليل وهو كونها مدينةً سياحيةً فإذا حضرت كل هذه المكونات في الخطاب سمي استدلالاً إظهارياً، وإذا تم إضمار الدليل، واكتفى بالنتيجة فقط نحو:

فلنسافر إلى أكادير، سمي استدلالاً إضمارياً، وقد تسبق النتيجة المقدمة نحو: أنا بحاجة إلى الراحة لأني متعبٌ، سمي استدلالاً تقهقرياً، وإذا سبقت المقدمة النتيجة نحو: أنا متعبٌ إذن أناً محتاجٌ إلى قسط من الراحة سمي إستدلالاً تدَرُجِيّاً.

ومن خلال الاطلاع على آراء العلماء حول مفهوم الاستدلال يلاحظ الباحث أنه تم إطلاق لفظ الاستدلال للدلالة به على معاني متقاربة إن لم تكن متطابقة، ونورد بعضها بغرض الاستئناس. فهذا الإمام أبو الحسن الأشعري قد عرفه بقوله: "إن الاستدلال هو النظر والفكرة من المفكر والمتأمل، وهو الاستشهاد وطلب الشهادة على الغوائب [1].

أما الرازي فحده بكونه "ذكر الدلالة بالقول وترتيبها بالفعل، فكأن ذاكر الدلالة والمتكلم فيها يتكلفها ويطلب التوصل إليها من أصول الشرع [2].

ويرى الباجي في كتابه المنهاج أن لفظ الاستدلال إذا أطلق يراد به "تفكر الناظر في حال المنظور فيه طلباً للعلم بما هو ناظر فيه، أو لغلبة الظن إن كان مما طريقه غلبة الظن. والدليل ما صح أن يرشد إلى المطلوب وهو الحجة والبرهان والسلطان، والدلالة هو الدليل، والدال هو الناصب للدليل، والمستدل هو الطالب للدليل وقد يكون المحتج بالدليل، والمستدل عليه هو الحكم، وقد يكون المحتج عليه والمستدل له يقع على الحكم لأن الدليل يطلب له وقد يقع على السائل[3].

١- الأشعري، مقالات الأشعري، دار الشرق، بيروت، ١٩٨٧ . ، ص: ٣١٧

٢- الرازي، الكاشف عن أصول الدلائل وفصول العلل، ط ١، ١٩٩٢، دار الجيل، بيروت ، ص: ١٩.

٣- الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج ، ص: ١١-١٢.

ومن منظور آخر نجد تعريفاً آخر عند الأستاذ عبد الرحمن حبنكة الميداني في كتابه ضوابط المعرفة جاء فيه: "الاستدلال هو استنتاج قضية مجهولة من قضية أو من عدة قضايا معلومة، أو هو التوصل إلى حكم تصديقي مجهول بملاحظة حكم تصديقي معلوم أو بملاحظة حكمين فأكثر من الأحكام التصديقية المعلومة[١].

وللأصوليين مفهوم للاستدلال أخص مما ذكر إذ يطلق عندهم على: "طلب الدليل الشرعي للتوصل بالنظر الصحيح فيه إلى الحكم الشرعي[٢]؛ إلا أن الدليل المطلوب قد يكون عاماً شاملاً للأدلة النصية من الكتاب والسنة وغير الأدلة النصية كالإجماع والقياس، وقد يراد به دليلاً مخصوصاً وهو "ما ليس بنص ولا إجماع ولا قياس علة وهو ثلاثة أقسام تلازم بين حكمين من غير تعيين علة واستصحاب وشرع من قبلنا[٣].

أما التلمساني فإن الاستدلال عنده لا يكون إلا بطريق التلازم أو التنافي بين الحكمين "فإن كان بطريق التلازم فهو ثلاثة أقسام: استدلال بالمعلول على العلة واستدلال بالعلة على المعلول، واستدلال بأحد المعلولين على الآخر وإن كان بطريق التنافي فهو ثلاثة أقسام أيضا: تناف بين حكمين وجودا وعدما، وتناف بينهما وجودا فقط، وتناف بينهما عدما فقط، فجميع أقسام الاستدلال ستة[٤].

المبحث الثالث: تطورات الحجاج والبرهان والاستدلال في بعض الدراسات:

الحجاج في بعض الدراسات الحديثة

لقد شهد الحجاج في العصر الحديث انبعاثه من خلال مؤلّفين صدرا في السّنة نفسها، مؤلّف حاييم برلمان ولوسي أولبر تيتكاه "مصنّف في الحجاج –الخطابة الجديدة" ومؤلّف ستيفان تولمان " استعمالات الحجاج[٥].

و قد عدّ المصنّفان عمادَ تصور جديد ما فتىء و أن تتطوّر ليقود الحجاج إلى تصوّر لسانيّ محض تزعّمه بصفة خاصّة ديكرو O. Ducrot وأوسكمبر J.C.Anscombre في

١- عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص ١٤٩.

٢- محمد مصطفى شلبي، أصول الفقه الإسلامي، ط ٢، ١٩٧٨، دار النهضة العربية، بيروت ، ص ٥٠.

٣- ابن الحاجب، منتهى الوصول والأمل في علمي الأصول والجدل، ص: ٢٠٢-٢٠٣.

٤- التلمساني، مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، ط١، ١٩٩٨، المكتبة المكية، مكة المكرمة، مؤسسة الريان، بيروت، ص ٧٣٤. وانظر كذلك الجرجاني، التعريفات، ط ١، ١٩٨٣، دار الكتب العلمية، بيروت. ص ١٧.

٥- بيرلمان وتيتيكاه: مصنّف في الحجاج :الخطابة الجديدة وقد كانت طبعة الكتاب الأولى سنة ١٩٥٨ في منشورات الجامعة الفرنسيّة.أمّا كتاب تولمان "استعمال الحجاج" فقد صدرت طبعته الأولى في السّنة نفسها في منشورات جامعة كامبريدج.

كتابهما المشترك "الحجاج في اللّغة[١].والطّريف في هذه التّصوّرات الجديدة النزوع إلى جعل الحجاج مستقلاّ في الجمل والخطابة بريئا من تهمة الدّعاية والمغالطة [٢]. مرتبطا بمفاهيم جديدة أنظمتها اتجاهات ردّت في الغالب إلى أعلامها المنشئين فكيف تمّ تصوّر الحجاج عندهم؟

الحجاج عند مايير:

يُعرّف "مايير" الحجاج قائلاً: "الحجاج هو دراسة العلاقة القائمة بين ظاهر الكلام وضمنيته[٣].

يقدم هذا المفهوم وجهة نظر مايير للخطاب الحجاجي، وهي أنه يوجد في معنى الجملة الحرفي إشارة – سمة حجاجية تُؤدي إلى ظهور الحجاج الضمني في ضوء ما يمليه المقام وتلوِّحُ بنتيجة ما تكون مقنعة أو غير مقنعة[٤].

إن آراء "مايير" في الحجاج متصلة بتحديده طبيعة الكلام ووظيفته التساؤلية، إذ أنه لما كان الكلام إثارةً للسؤال أو استدعاءً له لزم أن يتولّد عن ذلك نقاش يُولِّد بدوره حجاجاً، فالحجاج لديه مباحث لاستعمال الكلام، لأن الكلام يتضمّن بالقوة سؤالاً يستمدُّ منه دلالته، إن الحجاج متعلق _إذن_ لدى مايير بنظرية المساءلة وهو يشتغل بوصفه ضرورة تُؤدي إلى نتيجة أو موقف نحمل الغير على اتخاذه إزاء مشكل مطروح في سياق يوفر للمتخاطبين مواد إخبارية ضرورية للقيام بعملية الاستنتاج المتصل بالزوج (سؤال / جواب) [٥] .

الحجاج عند برلمان و تيتيكاه:

لقد نشأ اهتمام بيرلمان وتيتيكاه بالحجاج في إطار حقوقيّ قانونيّ يكاد يذكّرنا بنشأة الاهتمام به عند السّفسطائيّين غير أنّ الباحثين قد استنبطا للحجاج حدّا جديداً جعله سليل الخطابة و الجدل مارقاً عنهما في الآن نفسه فموضوع الحجاج عندهما "درس تقنيّات الخطاب التي من

١- بيرلمان وتيتيكاه: مصنّف في الحجاج :الخطابة الجديدة وقد كانت طبعة الكتاب الأولى سنة ١٩٥٨ في منشورات الجامعة الفرنسيّة.أمّا كتاب تولمان "استعمال الحجاج" فقد صدرت طبعته الأولى في السّنة نفسها في منشورات جامعة كامبريدج.

٢- صولة عبد الله: الحجاج في القرآن ص٢٥.

٣- Meyer .M، logique، langage et argumentation١١نقلا عن الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبدالله صولة، كلية الآداب والفنون منوبة، جامعة منوبة، تونس، . ٣٧:.٢٠٠١

٤- الحجاج في القرآن: ص٣٧.

٥- البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشيل مايير، محمد علي القارصي، بحث ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمّادي صمّود: ص٣٩٤.

شأنها أن تؤدّي بالأذهان إلى التّسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التّسليم[1] وهو إلى ذلك محكوم بغاية عمادُها "جعل العقُولِ تذعن لما يُطْرَحُ عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان إذ أنجع الحجاج ما وفّق في جعل حدّة الإذعان تقوى درجتها لدى السّامعين مهيّئين لذلك العمل في اللّحظة المناسبة[2] ومثل هذا الحدّ جعل الباحثين يميّزّان الحجاج عن الخطابة و الجدل ليؤسّسا لهما علاقة جديدة جعلت "الجدل في خدمة الخطابة و الخطابة غاية الجدل فهو لها عماد وهي له امتداد" إنّ هذا التّصوّر الجديد قد نزّل الحجاج في إطار نظريّة التّواصل وجعل الاهتمام به بحثا لا في طرائق تداول الأفكار وتمريرها فحسب وإنّما كذلك بحثا في ما يقود إليه التّأثير النّظريّ من إذعان سلوكيّ.

أمّا الحجّة فهي عندهما مظهر من مظاهر الخطاب لا تكتسب صفتها تلك – باعتبارها حجّة – إلاّ من خلال وقعها في متقبّل الخطاب بناء على غايات الحجاج وإلاّ فإنّها تصير عند ذلك مجرّد تزويق للكلام وهذا ما يجعل تدبّر أمر الحجّة صناعةً أمراً مهمًا تنعقد عليه صفة الخطاب إذا كان من الحجاج أم لا.

أمّا تقنيّات الحجاج فقد ردّها الباحثان إلى تقنيّتين رئيسيّتين:

تقنية الوصل:

وهي تقنية قائمة على التّأليف بين المتباعد من العناصر لردّها إلى بنية واضحة من شأنها أن تتيح لنا إمكانية تقويم أيّ عنصر بواسطة غيره من العناصر تقويماً إيجابيّاً أو سلبيّاً. وهذه التّقنية الاتصالية تقتضي ثلاثة أنواع من الحجج هي:

- الحجج شبه المنطقيّة: وهي حجج قائمة على المنطق الرّياضيّ، وهي أقرب إلى المنهج الاستدلالي منها إلى التّفكير الصّوريّ المجرّد.
- الحجج المبنية على بنية الواقع: وهي حجج قائمة على الرّبط السّببيّ وعلى حجج السّلطة.
- الحجج المؤسسة لبنية الواقع: شأن المثل والشّاهد والتّمثيل والاستعارة.

تقنية الفصل:

وهي تقنية قائمة على كسر عرى التّآلف بين عناصر تقتضي في الأصل وجود وحدة بينها وتتأسّس هذه التّقنية على ثنائيّة الظّاهر والحقيقة فالظّاهر يردّ كلّ الأشياء إلى ما هو مُعاين و

١- برلمان وتيتيكاه مصنّف في الحجاج ص ٥ وقد نقلنا تعريب الدّكتور عبد الله صولة لهذا التعريف كما ورد في أطروحته وفي مصنّف فريق الحجاج ص ٢٩٣

٢- صولة عبد اللّه، نفسه ص٣١، ص ٢٩٩

الحقيقة تكسبها هويّة جديدة هي بمقتضاها تعبير عن الصّورة المثلى لتلك الأشياء كما استقرت في الأذهان[١] .

الحجاج عند تولمين:

تأثّر تولمان في تصوّره للحجاج بالوضعيّة الأنجلوساكسونيّة فسعى إلى نمذجة الحجاج بردّه إلى رسوم حجاجيّة هي:

- يتأسّس على ثلاثة أركان هي المعطى والنّتيجة والضّمان وهو رسْمٌ يحدّد هويّة المعطى نتيجة تستمدّ مشروعيّتها من طبيعة الضّامن.
- يضيف إلى الأركان الثّلاثة السّابقة عنصرين هما الموجّه والاستثناء ويكون في العادة لرفض القضيّة المطروحة. ويضيف إلى سابق العناصر عنصر الأساس fundament وهو عنصر يتعلّق أساسا بالضّامن ليثريه فيوجّه الانتباه إلى الاستثناء باعتباره تشكيلاً جديدًا للنّتيجة.

إنّ رسوم تولمين الحجاجيّة استمدت من أقيسة سقراط وهو أمر جعلها تسقط في فخّ الصّوريّة ليستبعدها العديد من الدّارسين من دائرة الحجاج[٢] إذ أنّها غيّبت العناصر المقاميّة وجعلت صورة المتقبّل ضامرة وهو ما لا يستقيم حجاجاً إذ من شروط الحجاج انخراطه في منظومة التّواصل و إيلاء المخاطب مكانة مهمّة نبّهنا إليها تولمين و تيتيكاه ومن قبل أرسطو في خطابته .

الحجاج عند أوسكمبر وديكرو:

اعتبر الباحثان الحجاج كامناً في اللّغة متأتّياً من بنية الأقوال اللّغويّة لا من مضمونها الإخباريّ[٣] ومن ثمّ فلا دراسة للحجاج خارج نطاق دراسة اللّغة وهو ما يجعل العمل الحجاجيّ عملاً كلاميّاً يتنزّل في إطار براغماتيّ دلاليّ يجعل اللّغة تحمل في ذاتها بعداً حجاجيّاً بناءً على طرائق النّظم فيها باعتبارها – أيْ طرائق النّظم – فاعلة في التّوجيه وهو وظيفة الحجاج الرّئيسة.

علاقة اللغة بالحجاج:

تكتسب اللغة في الخطاب الحجاجي حيوية كبيرة؛ حيث تقوم بدور مهم وفاعل في التأثير والاستمالة، فالمفردات والتراكيب التي يوظفها المتكلم لوصف حادثة ما، تعكس حقيقة موقفه تجاه

١- انظر صولة عبد اللّه مؤلّف فريق الحجاج وفيه تفصيل للتّقنيتين المذكورتين.
٢- انظر صولة عبد اللّه: الحجاج في القرآن، ص ٢٩-٣٠.
٣- المرجع السابق، ص٣٧

هذا الحدث من خلال صور تشبيهية معينة تؤثر في موقف المتلقي، فالعمليات الفلسطينية مثلاً عندما تتحدث عنها الصحافة الإسرائيلية تنعتها بالتخريبية؛ لأن الخطاب فيها موجه إلى جمهور الإسرائيليين، بينما يصفها الفلسطينيون ومن يناصر قضيتهم بالاستشهادية والفدائية؛ لأنها تعتبر دفاعاً عن الوطن.

في هذه الحالة تعمل اللغة على إثارة المشاعر والانفعالات سواء أكانت إيحائيةً أم سلبيةً، فنحن نتكلم عامة بقصد التأثير[١]، وهذا التأثير ناتج في الحقيقة عن دورها التواصلي، يقول بنفنست (Benvenist): "اللغة تعرض إمكانيات تجعلها قادرةً على أن تكون أداة (تواصل)، إنها تحتمل بث ما نعهد به إليها: أمراً، سؤالاً، إعلاناً، وهي تثير كل مرة في المخاطب سلوكاً معزولاً، وهو الإقناع. ولهذا لا يكفي في الحجاج الإلمام بالحجج وحدها بل يجب وضعها ضمن إطار لغوي في خطة حجاجية مناسبة تضمن الاستمالة والتأثير، يقول محمد سالم: "فلا بركز في الحجاج (إلقاءً وتحليلاً وكتابةً) إلا على الأمور الداخلة في بنيته الموصلة إلى الإقناع، فالأمثلة الجاهزة والجمل الوعظية أو الإرشادية وغيرها لا يتم التطرق إليها إلا إذا كانت داخلة في بنيةٍ

قوليةٍ خطابيةٍ، وتؤدي هدفاً في خطة حجاجيةٍ معينةٍ[٢] ولعل منبع هذا الاهتمام باللغة يرجع إلى ما توفره من إمكاناتٍ حجاجيةٍ، ومن ذلك التمثيل الذي يحمل إقناعاً ؛ لأن المتكلم يأتي بصور جديدةٍ قائمةٍ على المشاهدة تهدف إلى استمالة عقل وقلب المتلقي[٣]، ولهذا "تقوم كثيرٌ من المحاججات على تقنية التمثيل ؛ إذ يكون موضوع بحثها كيف أن فكرةً ما تشبه أخرى. وقد اهتم بيرلمان بالتمثيل الذي نقل فيه حجاجيته وفعاليته الإقناعية، موضحاً أن المكونات الأسلوبية الموجودة في النص ليست سوى مستويات للحجاج. وإجمالاً نقول، تؤدي اللغة وظيفة حجاجية إلى جانب وظائف أخرى؛ لأنها تحمل بصفةٍ ذاتيةٍ وجوهريةٍ وظيفةً حجاجيةً، كما تتخذ أشكالاً وأنماطاً مختلفة ومن ذلك الخطابة.

١- حسان الباهي، الحوار ومنهجية التفكير النقدي: ص١٧٠.

٢- حافظ إسماعيل علوي، الحجاج، مفهومه ومجالاته، ٢٠/١.

٣- الحجاج في اللغة: د. أبو بكر العزاوي بحث ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته: إشراف د. حافظ اسماعيلي علوي عالم الكتب الحديث إربد، الأردن ٢٠٠٩.

البلاغة الحجاجية:

ما إن بدأت علوم الإنسان واللسان تتأسس في عصر النهضة، من منطق ولسانيات وعلم نفس واجتماع... حتى مدت يدها إلى البلاغة لحل بعض المشكلات المتعلقة بالخطاب، فاقتحمت بذلك موضوع الخطاب مجيبة عن الأسئلة المطروحة ومتجاوزة ذلك إلى اقتراح أجوبة تختص بها البلاغة أحياناً، وبذلك كونت لها ما يشبه المستعمرات في أرض البلاغة من قبيل منطق الحجاج، التداوليات ولسانيات النص، وسيميائيات النص، والنقد النفسي والسوسيولوجي.

وعندما وصلت عملية الفصل بين العلوم الإنسانية في العصر الحديث إلى مداها في إطار التخصص وتدقيق البحث عادت التساؤلات، فلم يعد السؤال الجوهري أين يقف هذا المبحث؟ وأين يبدأ الآخر؟ بل صار كيف تتداخل الحقول وتتفاعل في إطار تكامل المعارف والبحوث؟

وبذلك بدأ الباحثون اللغويون في مجال التداول الحجاجي (منطق الحجاج) يكاشفون أن تناولهم لشتى أنواع الخطاب موجودة في علم عتيق ألا وهو "البلاغة" وهذا ما جاء على لسان (شاييم بيرلمان) فيصرح في كتابه (مصنف في الحجاج): بأنه فوجئ وهو يسعى إلى وضع منطق للقيم يوازي المنطق الصوري الرمزي بأن ما كان يبحث عنه موجوداً في علم قديم اسمه البلاغة[1]، ولذلك عكف على دراسة بلاغة أرسطو وأعاد صياغتها بما يخدم نظريته في منطق الحجاج.

والبلاغة تحدد على "أنها عمل المتكلم على إيصال الشفرة إلى السامع بواسطة رسالة في مقام معين"، وما يؤكد هذا المفهوم ما جاء في حدود البلاغة وتفسيرها ومن ذلك قول أبا هلال العسكري: "البلاغة كل ما تبلِّغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن[2].

كما تعرف بشكل عام على أنها "فن القول بشكل عام، أو فن الوصول إلى تعديل موقف المستمع أو القارئ، إذ البلاغة نظام له بنية من الأشكال التصورية واللغوية يصلح لإحداث التأثير الذي ينشده المتكلم في موقف محدد، ويرى ليتش «البلاغة تداولية في صميمها إذ أنها ممارسة

١- حافظ إسماعيل علوي، الحجاج، مفهومه ومجالاته ١/٢٠.

٢- أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق علي محمد البحاري، ط٢، دار الفكر العربي، ص٧٤.

الاتصال بين المتكلم والمستمع في موقف معين بحيث يحلان إشكالية علاقتهما باستخدام وسائل معينة للتأثير[١]"

ومن خلال هذا يتبين لنا كيف ربط الباحثون بين البلاغة باعتبارها "فن القول" بشكل عام مع مراعاة (المتكلم – المتلقي – المقام) وبين مفهوم التداولية بوصفها "العلم الذي يعنى بالعلاقة بين بنية النص وعناصر الموقف التواصلي"[٢] .

وتتمثل وظيفة البلاغة في الإفهام والإقناع وتتجلى هاتين الوظيفتين في كثير مما جاء في وصف البلاغة وتفسيرها، إذ عرفت على أنها "البلاغة قول مفقه في لطف، فالمفقه: المفهم واللطيف من الكلام ما تعطف به القلوب النافرة، ويؤنس القلوب المستوحشة ويبلغ به الحاجة، وتقام به الحجة" [٣].

وهو نفس التصور الذي يتدفق إلى التفكير الغربي الذي اتخذ الاستمالة والإقناع هدفاً في تحقيق الاستمالة غاية مشتركة بين البلاغة العربية وكل من الخطابة القديمة والحديثة لبيرلمان[٤].

التطور الدلالي للبرهان:

يرى الباحث أن للبرهان الحجاجي مكاسب تربوية يمكن إيجازها فيما يلي :

توجيه تعلم الطالب للمهارات العليا من التفكير، و تحديد جوانب القوة والضعف في انماط التفكير لدى الطالب، مساعدة الطالب على تنظيم التفكير، تنمية قدرة الطالب على كشف المغالطات، مـــراجعة الطالب للمعلومات التي درسهـــا بهدف ترسيخ المعلومات المستفادة منها، تجاوز حفظ المعارف إلى الفهم، والاستنتاج، إدراك العلاقة بين موضوعات الدراسة، تحديد المعطيات والدفاع عنها باستخدام الحجة والدليل ومحاجة آراء الأخرين ،والدفاع والدليل عن النتائج، التفنيد، الإقناع، الاستدلال، تنمية قدرة الطالب على الاستنباط، و الاستقراء، والقدرة على دحضُ حجج الطرف الأخر بالأدلة والبراهين الاستدلالية والواقعية، والدفاع في الوقت نفسه عن آرائهم وتقديم حجج لإقناع الطرف الآخر، ينمى قدرة المتعلمين على ربط الاستنتاجات بالواقع الحياتي .

١- نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها، عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٩، ص١٦٧.
٢- حمادي صمود، من تجليات الخطاب البلاغي، تونس، دار قرطاج، ط١، ١٩٩٩، ص١٣٣.
٣- أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص ١٢.
٤- محمد الولي، بلاغة الحجاج، المغرب، ع ٥، http://www.saidbengrad.com، ١٩٩٦.

أنواع البرهان:

بتحليل الأدبيات في مجال الحجج تبين للباحث أن هناك عدة تصنيفات لأنواع الحجج منها :

١- الاستنتاج أو الاستنباط وهي حجة يمكن معرفتها من خلال الأساليب الشرطية مثال: لدينا... بما أن ... فإن.... إذن..../ إذا كان ....فإن ...وبالتالي فإن .

٢- الاستقراء: تدرج من الخاص إلى العام .

٣- المماثلة: إبراز أوجه تماثل أو التشابه .

٤- الدحض: بيان لا معقولية الفكرة بإبراز تناقضها مع المنطق من جهة أو مع الواقع من جهة ثانية .

٥ - البرهان بالخلف: تقتضي وجود فكرتين متعارضتين الثانية تعمل على نفي ودحض وتفنيد فكرة الطرف الأول بإظهار ضعفها أو عدم صالحيتها .

٦- البرهان المنطقي: بمعنى الانتقال من مقدمات وقضايا للوصول إلى نتائج.

التطور الدلالي لمصطلح الاستدلال:

بعد معرفتنا لمعنى الاستدلال، وأنه يطلق على معنيين، أحدهما عام، والثاني خاص، وكل واحد منهما يعكس تطورا دلاليا لهذه اللفظة، فقد درج الأصوليون، منذ تدوين هذا العلم، على استعمال هذه اللفظة بالمعنى العرفي العام،

أما المعنى العرفي الخاص للاستدلال فهو اصطلاح حادث، ويعتبر أول من أفرده بالكلام وميزه عن غيره إمام الحرمين في كتابه" البرهان في أصول الفقه ".

أما ابن حزم فقد عرف الاستدلال تعريفا عرفيا عاما، مرادفا لتعريفه اللغوي، ولم يكن قد اتضح عنده هذا المصطلح بمعناه الخاص، لكنه تحدث عن شيء آخر وسماه الدليل، وفارق بينه وبين الاستدلال، ثم وضح أنه عبارة عن معاني النصوص ومفهومها، وهي أمور تقع تحت النص لا تخرج عنه أصلا . وما ذكره ابن حزم من أن الدليل عبارة عن معاني النصوص ومفهومها، ولا يخرج عنها، يتضح أن كلامه هذا قريب من كلام إما الحرمين.

فإمام الحرمين رحمه الله يعتبر أول محدد لهذا المصطلح ومميز له، وتعتبر النشأة الحقيقية له على يده، وكل من جاء بعده فهو جار على منواله وراجع كلامه إلى كلام إما الحرمين، كالإمام السمعاني والغزالي فكلامهم آيل إلى كلامه، فهم غير خارجين عليه إلا في طريقة الموضوع والتناول.

وقد تابعه في ذلك تلميذه ابن الحاجب، وإن كان قد زاد قيدا في التعريف فقال:" ولا قياس علة، فأفاد بأن القياس بنفي الفارق، وقياس الدلالة يدخلان في مفهوم الاستدلال، وهو توسع في مفهوم المصطلح لم يكن عند شيخه، وكان له صنيع مغاير في تعداد أنواع الاستدلال.

أما الإمام القرافي فقد كان له صنيع موفق بين اتجاه إمام الحرمين في كلامه عن الاستدلال كبناء، وبين اتجاه الآمدي ومن سار على نهجه في كلامهم عن هذا المفهوم كأدوات وضوابط؛ إذ عرفه بأنه:" محاولة الدليل المفضي إلى الحكم الشرعي من جهة القواعد لا من جهة الأدلة المنصوبة"، فكان تعبيره بقوله: " من جهة القواعد" مفيدا بأن الاستدلال: بحث في الدليل سواء من جهة القواعد والقوانين العقلية، وهو مراد الآمدي كذلك، أم كانت قواعد ومعان كلية مستخلصة من مجمل النصوص، وهو مراد إمام الحرمين، وهو تطور دلالي مهم في مفهوم واستعمال هذا المصطلح. وأصبح الأصوليون بعد القرافي في نظرتهم لهذا المصطلح إما متابع لإمام الحرمين، وإما متابع للآمدي، وإما جامع بين طريقتيهما في كلامه، ولا شك أن المؤدى واحد.

أما تاج الدين السبكي، فهو وإن سار على نهج الآمدي في التعريف، إلا أنه استطار بدلالة هذا المصطلح استطارة كبيرة، حيث أطلقه على غير المتفق عليه من الأدلة، وبين أنه عبارة عن إيجاد دليل غير واضح قاله كل إمام بمقتضى أداء اجتهاده.

الاستدلال عند أرسطو

الاستدلال عند أرسطو أنواع كثيرة وهي: الاستدلال البرهاني والجدلي والخطابي والسفسطائي. فيرجع هذا التصنيف عنده تبعاً لأصناف المخاطبات التي ترد فيه فأنواع الاستدلال تتعدد من صنف مخاطبي إلى آخر، وتتراوح بين اليقينية والظنية، والمغالطية والمقنعة والخيلة [1].

الاستدلال عند المناطقة

يرى المناطقة أن الاستدلال هو[2]: استنتاج قضية مجهولة من قضية، أو من عدة قضايا معلومة، أو: هو التوصل إلى حكم تصديقي مجهول بواسطة حكم تصديقي معلوم، أو بملاحظة حكمين فأكثر من الأحكام التصديقية المعلومة.

١- المودن، محمد قضايا حجاجية ، ص ٧٥.

٢- حجازي، عوض الله جاد ، المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم، دار الكتاب المحمدي، ٢٠٠٠، ص ١٢٧. وانظر عبد الرحمن حبنكة الميداني: ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، تحقيق: حسين مؤنس، ط١، دار القلم ، دمشق، ١٩٧٥، ص١٤٧.

وبناء على هذا فقد درجوا على تقسيمه إلى[١]: استدلال مباشر، واستدلال غير مباشر.

وعرفوا الاستدلال المباشر بصدق قضية على صدق قضية أخرى أو كذبها، أو الاستدلال بكذب قضية على صدق قضية أخرى أو كذبها.

وعرفوا الاستدلال غير المباشر: بأنه هو الذي يحتاج إلى أكثر من قضية حتى يتوصل إلى النتيجة المطلوبة.

فالاستدلال إذا عملية عقلية منطقية ينتقل فيها الباحث من قضية، أو عدة قضايا إلى قضية أخرى تستخلص منها[٢].

الاستدلال عند علماء الكلام

عرف علماء الكلام الاستدلال بتعريفات عدة، أقتصر منها على:

تعريف أبو الحسن الأشعري قال:" الاستدلال له معنيان، أحدهما: انتزاع الدلالة، والثاني: المطالبة بالدلالة والناظر في هذا التعريف يرى: أن الاستدلال عند الأشعري عملية عقلية يقصد بها استخراج دلالة الدليل على الحكم، سواء كان ذلك من شخص واحد وهي التي عبر عنها بانتزاع الدلالة، أو كان من أكثر من شخص وهو المعبر عنه بالمطالبة بالدلالة.

الاستدلال عند الأصوليين

وفي اصطلاح الأصوليين يطلق على أربعة معان:

١ ــ الاستدلال بمعنى إيراد الدليل من قرآن أو سنة أو قياس أو غير ذلك.

٢ ــ الاستدلال بمعنى إيراد الدليل الذي ليس نصا ولا إجماعا ولا قياسا.

٣ ــ الاستدلال بمعنى الاستصلاح، وهذا الإطلاق قد ورد على ألسنة كثير من الأصوليين كالجويني، والغزالي، والشاطبي وغيرهم.

٤ ــ الاستدلال بمعنى الأقيسة التي ليست من قبيل قياس التمثيل، وقياس التمثيل هو القياس الأصولي الذي يسميه علماء أصول الفقه بالقياس الشرعي، وهو إلحاق فرع بأصل في الحكم الشرعي لمساواتهما في العلة [١].

١- عبد الرازق، محمد حسنين، علم المنطق الحديث، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ، ١٩٢٨،ص٩٩.

٢- عبد الرحمن حبنكة الميداني: ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، تحقيق: حسين مؤنس، ط١، دار القلم ، دمشق، ١٩٧٥، ص١٠٤.

وفيما يلي مجموعة من تعريفات الاستدلال عند علماء الأصول:

عرف الجصاص: الِاسْتِدْلَالُ: هُوَ طَلَبُ الدَّلَالَةِ وَالنَّظَرُ فِيهَا، لِلْوُصُولِ إلَى الْعِلْمِ بِالْمَدْلُولِ[٢].

وعرفه ابن حزم:" الاستدلال طلب الدليل من قبل معارف العقل ونتائجه أومن قبل إنسان يعلم"[٣].

وعرفه أبو يعلى الفراء:" الاستدلال: طلب الدليل ".

وعرفه الجويني بقوله:" اختلف العلماء المعتبرون والأئمة الخائضون في الاستدلال وهو: معنى مشعر بالحكم مناسب له فيما يقتضيه الفكر العقلي من غير وجدان أصل متفق عليه والتعليل المنصوب جار فيه "[٤].

وفي التلخيص أيضا قال:" فَإِن قيل: فَمَا الِاسْتِدْلَال؟ قيل: هُوَ يتَرَدَّد بَين الْبَحْث وَالنَّظَر فِي حَقِيقَة المنظور فِيهِ وَبَين مَسْأَلَة السَّائِل عَن الدَّلِيل".

وعرفه الآمدي:" أَمَّا مَعْنَاهُ فِي اللُّغَةِ: فَهُوَ اسْتِفْعَالٌ مِنْ طَلَبِ الدَّلِيلِ وَالطَّرِيقِ الْمُرْشِدِ إلَى الْمَطْلُوبِ.

الاستدلال عند الفقهاء

أَمَّا فِي اصْطِلَاحِ الْفُقَهَاءِ: فَإِنَّهُ يُطْلَقُ تَارَةً بِمَعْنَى ذِكْرِ الدَّلِيلِ، وَسَوَاءٌ كَانَ الدَّلِيلُ نَصًّا أَوْ إجْمَاعًا أَوْ قِيَاسًا أَوْ غَيْرَهُ. وَيُطْلَقُ عَلَى نَوْعٍ خَاصٍّ مِنْ أَنْوَاعِ الْأَدِلَّةِ، وَهَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ بَيَانُهُ هَاهُنَا، وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ دَلِيلٍ لَا يَكُونُ نَصًّا وَلَا إجْمَاعًا وَلَا قِيَاسًا " [٥].

وعرفه ابن الحاجب:" يطلق عموما على ذكر الدليل وخصوصا على نوع من الأدلة وهو المطلوب، فقيل كل دليل ليس بنص ولا إجماع ولا قياس علة ". وعلى هذا جرى في تعريفه للاستدلال في المختصر الصغير أيضا.

١- الروكي محمد، نظرية التقعيد الفقهي وأثرها في اختلاف الفقهاء، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المملكة المغربية، ١٩٩٤. ص١٢٩.

٢- الجصاص الرازي، أبي بكر احمد بن علي، الفصول في الأصول، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠١٠، ص٩.

٣- ابن حزم الأندلسي، الإحكام في أصول الأحكام ، تحقيق: أحمد شاكر ، دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٨٣، ص ٣٩.

٤- الجويني، أبو المعالي، البرهان في أصول الفقه، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٩٧، ص١٦٢.

٥- ابن حزم الأندلسي، الإحكام في أصول الأحكام ، تحقيق: أحمد شاكر ، دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٨٣، ص ١١٨.

وعرفه الإمام الطوفي:" وَهُوَ طَلَبُ الْحُكْمِ بِالدَّلِيلِ مِنْ نَصٍّ أَوْ إِجْمَاعٍ أَوْ قِيَاسٍ.

قراءة حول آراء بعض المدارس عن الاستدلال

فإذا نظرنا في هذه التعريفات نجد أموراً وفروقا تميزها عن بعضا منها عن بعض:

أولاً: أن بعض الأصوليين عرفوا الاستدلال بتعريفات عامة تماثل معناه اللغوي وهو: طلب الدليل، أو طلب دلالة الدليل، أو النظر في الدليل.

وهم:" الجصاص في "الفصول" وابن حزم في "الإحكام" مع كونهم وضحوا كيفية هذا الطلب: فالجصاص وضح أنه الطلب الموصل إلى العلم بالمدلول. وابن حزم وضح أن هذا الطلب يكون" من قبل معارف العقل ونتائجه، أو من قبل إنسان يعلم"

ثانياً: أن بعض الأصوليين عرفوا الاستدلال بتعريفين، أحدهما: عام، والآخر خاص.

فالعام يقصدون به ذكر الدليل مطلقا سواء أريد بذلك الأدلة الأربعة المتفق عليها؛ وهي الكتاب والسنة والإجماع والقياس، أم أريد به غيرها.

وبالنسبة لهذه التعريفات العامة التي تماثل المعنى اللغوي، يلاحظ أنها جاءت متغايرة الألفاظ:

فمنهم من عرفه: بطلب الدليل كما عند الجصاص في "الفصول" وأبو يعلى الفراء في "العدة". ومنهم من عرفه: بذكر الدليل كما عند الآمدي في "الإحكام" وابن الحاجب في "المختصر" والإمام الطوفي في "شرح مختصر الروضة". ومنهم من عرفه: بإقامة الدليل كما عند الشنقيطي في "نثر البنود" كما عبر عنه كذلك بذكر الدليل.

وهذه الألفاظ الثلاثة التي عبروا بها تكاد تكون مترادفة، لأن الطلب عملية يقصد منها الوقوف على حقيقة الدليل ودلالته على الحكم سواء ذكر الدليل بعده وأقيم علامة على الحكم أم لا.

والخاص من هذه التعريفات هو عبارة عن: دليل لا يكون نصا ولا إجماعا ولا قياسا. والذي على هذا الآمدي في "الإحكام" وابن الحاجب في "مختصره" والشنقيطي في "نثر البنود" وهذه التعريفات الخاصة للاستدلال تعريفات متقاربة الألفاظ إلى حد كبير لا نجد فيها اختلافا مؤثرا.

وبالنظر في هذه التعريفات الخاصة نجدها تعبر عن ثلاث وجهات نظر؛ الأولى لإمام الحرمين، والثانية للآمدي، والثالثة للقرافي.

فيظهر أن هناك علاقة وثيقة بين هذه التعريفات؛ وهي علاقة اللازم بالملزوم؛ فتعريف إمام الحرمين للاستدلال تعريف بالملزوم، وتعريف الآمدي تعريف له باللازم؛ فتعريف إمام

الحرمين للاستدلال يشعر وكأنه يتحدث عن البناء، والآمدي يتحدث عن طـرق وضـوابط هـذا البناء.

وبالنسبة لتعريف القرافي فمفاده أنه يعبر عن الوصول إلى الحكم الشرعي بالبحـث فـي الدليل من جهة القواعد الكلية والقوانين العقلية [لا من جهة الأدلة الشرعية الجزئية التـي نـصبها الشارع علامة على الأحكام].

وهذه التعاريف الثلاثة متقاربة لكونها تهتم بكيفية البحث في الدليل مـن جهـة القواعـد والقوانين العقلية، إضافة إلى القواعد الكلية الشرعية المناسبة المستخلصة من مجمـل الأصـول المنصوصة؛ وهذا كله للتوصل إلى أحكام شرعية مناسبة لما يستجد ويتجدد من حوادث لا يفـي بحكمها النظر المجرد والجزئي في النصوص دون النظر لما ترمي إليه من معاني وقواعد كليـة مناسبة.

أنواع الاستدلال هي:

- **الاستقرائي:** أو أحيانا المنطق الاستقرائي هو الاستدلال الذي ينتقل من الجزئـي إلـى الكلي. وينقسم إلى قسمين استقراء تام واستقراء ناقص. وتبحث مباحث هذا الشكل مـن الاستدلال في علم المنطق.
- **الاستنباطي:** هو أحد أشكال الاستنتاج (تصميم أعلى أسفل) ويمكن قياس الجدل عنـدما تعتمد صحة البرهان على منطقية الفرضية العامة أو المبدئية.
- **الإنساني:** هو مجال دراسة كيفية قيام الشخص بالاستنتاجات.
- **الإحصائي:** وهو اعتماد الارقام والرياضيات في الاستنتاجات.

أشكال الاستدلال الطبيعي:

يندرج القياس المضمر ضمن البراهين المنطقية، وهو عند أرسطو العمود الفقري للبرهان والحجاج، لأن هذا الأخير أي الحجاج في أبسط صوره ما هو إلا ترتيباً عقلياً للعناصر اللغوية ترتيباً يستجيب لبنية الإقناع، ويقوم على مقدمة كبرى تليها مقدمةٌ صغرى، ثم النتيجة أو الاستنتاج، والأصل في القياس التصريح بجميع الأجزاء: المقدمات والنتائج، لكن في اللغة الطبيعية يتعرض للإضمار.

الفصل الثاني: أوجه التشابه والاختلاف بين الحجاج والبرهان والاستدلال

مقدمة:

تسعى هذه الدراسة في هـذا الفـصل إلـى الكـشف عـن الخـصوصية الجوهريـة اللغوية للحِجاج والتقاطعات المصطلحية بينه وبين الاسـتدلال والبرهـان؛ وذلـك مـن خـلال الوقوف على رصد المفاهيم اللغوية وفق مـا وردت فـي المعـاجم اللغويـة. وكـذا الفـصل

فيها من وجهة نظر المتخصصين والمشتغلين في مجال الحِجاج الذين باينوا وغايروا بينها، والوقوف على ما بينها من تشابه وتنافر في الجانب المنطق الطبيعي والصوري، للكشف عن مجال اشتغال كل منهم وتحديده تحديداً دلالياً ووظيفياً. حتى يتسنى للباحث الإلمام بكل خبايا مصطلح الحِجاج والبرهان والاستدلال وما يتخللها من مد وجزر.

ولقد شكل التقابل بين البرهان والحجاج محط اهتمام العديد من الباحثين على مر العصور، "فالأقدمون فرقوا بين البرهان والحجاج فقالوا بأفضلية الأول لكونه يتألف من مقدمات يقينية مضموناً في الوقت الذي تبقى فيه المقدمات الجدلية ظنية، فالفرق بينهما يعود بالأساس إلى طبيعة المقدمات لا إلى صرامة الاستنتاج". فلا غرابة إذا كان الجدل عندهم يستعمل مع القاصرين عن إدراك البرهان، وذلك لإلزام الخصم وإفحامه. أما البرهان فهو يرمي إلى إثبات الصحة، وهو ينظر في القضايا بحد ذاتها.

المبحث الأول:

التقاطعات والتباينات بين الحجاج والبرهان والاستدلال من خلال الجانب اللغوي

المفاهيم اللغوية:

من خلال تقصي المفاهيم اللغوية والاصطلاحية نجد أن البرهان والحجاج كلاهما يأتي في كثير من المواضيع مترادفين وينوب أحدهما عن الآخر، وقد يستعملان كمصطلح واحد وقد يؤديان وظيفة واحدة ألا وهي الدفاع عن موقف ما لكسب قضية ما وهزيمة الخصم بالتغلب عليه، وذلك يكون بتقديم حجج كافية للالتزام بها[1].

ومن خلال تقصي المفاهيم اللغوية والاصطلاحية لكل من البرهان والحجاج يمكن إجمال التقاطعات في الآتي:

١. كل من الحجاج والبرهان يرمي إلى غاية ألا وهي الوضوح وإزالة اللبس والغموض القضايا المدافع عنها لتصير واضحة.
٢. كل منهما يشتركان في العمل على الإتيان بالحجج والبراهين من أجل الوصول إلى النتيجة المنشودة.
٣. كلاهما يكون في موقف تنازع مما يستدعي الإتيان بالحجج والبراهين لإثبات صحة الدعوى.

١- زكريا السرتي، الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد ، الأردن، ط١، ٢٠١٤، ص٧٦

دلالات ومعاني:

لا يمكن تحديد معنى الحجاج بمعزل عن تحديدات أخرى لمفاهيم الحجّة والدّليل والبرهان، لأنّ غاية الحجاج المتمثّلة في الإقناع، لا تقوم دون أدلّة، وهو ما يستدعي التّمييز – أيضًا – بين الإقناع والاقتناع؛ فمعنى الحجاج: سلسلة من الحجج تهدف جميعها إلى تأكيد نتيجة نسبية.

والدّليل يتّخذ صورة استدلال تصير النّتائج فيها منسجمة مع المقدّمات الّتي انطلقت منها، كما يحيل على الواقع ليأخذ مضمونًا ماديًّا تصبح الوقائع والأحداث بموجبه أدلّةً. ويقتضي الاستدلال استنباط النّتائج من مقدمات محدّدة دون أيّ لبس، لذلك؛ شكّل مجال بحث المناطقة الّذين يسعون إلى الصّياغة الصّوريّة لمقتضيات العقل واهتمامهم، بصرف النّظر عن محتوياتها.

ولا ينطبق ذلك على الحجاج؛ لأنّه يتأثّر بذات من يصدر عنه، ومن يوجّه إليه، كما أنّ منطلقاته تكون موضع نقاش وتعديل وتجاوز، وفي هذا الإطار تعدّ الحجّة موجّهةً لإثبات أطروحة أو دحضها، لهذا؛ فهي ترتبط بالدّليل أو الاستدلال، وبالبرهنة، والبيّنة والإقناع، والاقتناع، والتّبرير؛

وفي حين تستنبط النّتيجة في البرهان من المقدّمات بكيفيّة ضروريّة؛ فعمليّة الاستنباط فيه: هي برهنة على صدق أو صواب النّتيجة، لهذا يعرف البرهان بكونه: مجموعةٌ من الحجج المقدَّمة لإقناع شخص، ولإثبات حقيقة ما وإبرازها، فهو يبني سلسلة من القضايا المترابطة فيما بينها بغرض الوصول إلى نتيجة معيّنة، ومقدمات البرهان قطعية تؤدي إلى نتائج قطعية.

ويعتبر الاستدلال سياق الخطاب الحجاجي العقلي أو تطوره المنطقي، لأن الخطاب الحجاجي يقوم على البرهنة لذا يتوجب أن يكون بناؤه على نظام معين تترابط فيه العناصر وفق نسق تفاعلي، وتهدف جميعها إلى غاية مشتركة. ومفتاح هذا النظام لسانيٌ بالأساس ذلك أن الخطاب الحجاجي في أبسط صوره هو ترتيب عقلي للعناصر اللغوية يستجيب لنية الإقناع. وهو ما يسميه طه عبد الرحمن بالاستدلالية[1].

١- أصول الحوار وتجديد علم الكلام –طه عبد الرحمن ص٣٦. واللسان والميزان أو التكوثر العقلي – ص ٢٨٩، ٢٩٠.

المبحث الثاني:

التقاطعات والتباينات بين الحجاج والبرهان والاستدلال من خلال الجانب المنطقي الطبيعي:

من خلال دراستنا لمفهوم الحجاج والبرهان والاستدلال وعند مقارنة مفهوم الحجاج بمفهوم البرهان والاستدلال الطبيعي نجد أن الخطاب الطبيعي ليس خطاباً برهانياً بالمعنى الدقيق للكلمة، فهو لا يقدم براهين وأدلة منطقية، ولا يقوم على مبادئ الاستنتاج المنطقي. فلفظة الحجاج لا تعني البرهنة على صدق إثبات ما، أو إظهار الطابع الصحيح لاستدلال ما من وجهة نظر منطقية.

فتتضح حقيقة الاستدلال في منطق الخطاب الطبيعي – مع عموميته وشموليته – بأن يكون حجاجياً لا برهانياً صناعياً [١]؛ وفي ذلك يتبين لنا التمييز والاختلاف بين الحجاج والبرهان وتتكشف لنا طبيعة الاستدلال في كونه استدلالاً طبيعياً غير صوريٍ، فالاستدلال الطبيعي يكون باللغة الطبيعية من خلال الخطاب الطبيعي الذي من أبرز أنماطه الحجاج [٢] والاستدلال الذي يتوافق مع الخطاب الطبيعي هو الاستدلال الحجاجي. إذن نجد أن الحجاج الاستدلالي مرتبط بالخطاب الطبيعي واللغات الطبيعية، بينما يستعمل الاستدلال البرهاني اللغات الاصطناعية[٣] في مجال الاستدلال الصوري.

التمييز بين الاستدلال الحجاجي والاستدلال البرهاني:

يبدو هذا التمييز أكثر وضوحا من خلال تعريف طه عبد الر حمن للحجاج بأنه: فاعلية تداولية جدلية ، وهذه التفاعلية تكاد تنعدم في الاستدلال البرهاني، مما يجعل جهد المحاج مرتكزاً على جانبين اثنين هما[٤]:

١- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط٢، ٢٠٠٠، ص٦٥.

٢- أبو بكر العزاوي ، من المنطق إلى الحجاج، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن ، ط١، ٢٠١٦، ص٢٢.

٣- اللغات الاصطناعية فإنها موضوعة لتلبية الحاجات والضرورات العلمية، فهي تعد صياغة المعارف والمعلومات وكذا مجرد وسيلة للحساب (وهو ما يمكن أن تقوم به الآلة)، فالموضوعات المرتبطة بها إما فارغة، (أي تحصيل حاصل)، وإما محددة بشكل كلي منذ البداية، بخلاف اللغات الطبيعية التي هي وسيلة للحوار ووسيلة لإبداع المعارف وتمثيلها ، والتي يتم إنشاء موضوعاتها وداخل السياق. أبو بكر العزاوي ، من المنطق إلى الحجاج، ص١٨-١٩.

٤- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص ٦٥

الجانب التداولي:

طابعه الفكري للحجاج مقامي واجتماعي يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية، ويهدف إلى إنشاء معرفة عملية موجهة بقدر الحاجة.

الجانب الجدلي:

يلتزم الحجاج فيه بصور استدلالية أوسع وأكثر من الصور والبنيات البرهانية الضيقة لتحقيق الإقناع، فعندما يدرك المحاج في العملية الحجاجية للجانب التداولي الجدلي، بالتأكيد سيقوم بسلسلة من الاستدلالات المباينة للبرهنة العلمية.

فالآليات الاستدلالية التي ينطوي عليها الخطاب الطبيعي العادي في الحقيقة ما هي إلا تقنيات حجاجية جدلية، وميزة كل قول حجاجي أنه يزاوج بين الصورة والمضمون ليتسنى له الإقناع على عكس البرهان الذي يستغنى عن المحتوى، مما يؤكد أن البرهان آلية فقيرة مقارنة بالحجاج [1] وهذا ما يؤكد أن البرهان آلية استدلالية ضيقة الأفق مقارنة بالحجاج.

فالحجاج لا يهدف إلى تحقيق الإقناع العقلي الخالص كالبرهان بقدر ما يرمي إلى التأثير في المتلقي ودفعه إلى القيام بعمل أو الكف عن فعل عمل آخر أو تبني رأي وفكرة أو رفضها [2] ولا تتحقق هذه الغاية إلا عن طريق الاستدلال المنطقي القابل للاختيار من قبل المتلقي بحيث يأتي اختياره اختياراً عاقلاً وواعياً[3].

لقد ميز المشتغلون بين الاستدلال الحجاجي والاستدلال البرهاني وبينوا أوجه الاختلاف بينهما بالآتي:

الاستدلال البرهاني:

يرتبط بمقدمات يقينية منطقية تفضي للوصول إلى نتائج حتمية حسابيةٍ رياضيةٍ قطعيةٍ، بحيث تستنبط من المقدمات نتائج تفضي إليها تلك المقدمات ضرورة من غير أي لبس[4] .

١- رضوان الرقبي، الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، عالم الفكر، العدد ٢، المجلد ٤٠، أكتوبر، ديسمبر، ٢٠١١، ص ٨١.

٢- آمال يوسف المغامسي، الحجاج في الحديث النبوي، دراسة تداولية، الدار المتوسطية للنشر، الجمهورية التونسية، ط١، ٢٠١٦، ص٢٧.

٣- جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د ط، د ت، ص١٠٩.

٤- محمد المدن، قضايا حجاجية في علم الكلام، مطبعة باب الحكمة، تطوان، المغرب، ط١، ٢٠١٩، ص٨١.

الاستدلال الحجاجي:

الاستدلال الحجاجي هو خاصية مطابقة للخطاب الطبيعي، لا اللغات الاصطناعية، والرمزية مثل المنطق، حيث إن الحجاج يهتم بالخطابات الطبيعية التي تتسم بالخصوبة والمرونة والالتباس والتداول والتفاعل الاجتماعي التي تهتم بتحديد قيمته وتفتح له المجال لتعدد القراءات، لا كالقضايا البرهانية الصارمة التي تقوم على الصورية والصرامة ولا تقبل التأويلات. فمن هنا نجد أن الاستدلال الحجاجي يرتبط بمقدمات قد لا تفضي بالضرورة للوصول إلى نتائج حتمية حسابيةٍ رياضيةٍ قطعيةٍ؛ مما يجعله قابلاً للنقض أو الدحض ويجعل من إمكانية التسليم بالمقدمة أمراً نسبياً بالنسبة للمخاطب. وكذلك نجده مرتبط بالخطاب الطبيعي كعلاقات لغوية مرتبطة بدلالتها التداولية ومقتضيات القول.

وبين "مايير" أن الحجاج يمتاز بكونه استدلالاً يحث على العمل إما بشكل مباشر، بحيث يحمل المخاطب على اتخاذ موقف أو انتهاج سلوك إزاء موضوع معين، أو بشكل غير مباشر إذا اكتفى المتحاج بتوصيل آراءٍ أو نتائجَ قابلةٍ للتوظيف حين مواجهة موقف معين في وقت لاحق[1]

فالحجاج فعالية استدلالية متميزة عن البرهان، ويتصف بالخصائص التالية:

- أنه آلية استدلالية طبيعية إذ تبنى الانتقالات فيه لا بالاستناد إلى معطيات اللغة الصورية المجردة كما هو الحال في الاستدلال البرهاني، وإنما يتم ذلك في إطار اللغة الطبيعية التي تتصف أساسا بالانفتاح الدلالي الناتج عن ظاهرة الاشتراك والخفاء والغموض والطي المميزة لكل خطاب طبيعي، ومن ثم كان الحجاج أنسب استدلال لكل من يتوسل باللغة الطبيعية في التبليغ والتوجيه والتدليل، لأنه يحفظ عليها خصائصها الجوهرية.
- أنه يتأسس على صور استدلالية أغنى وأوسع من البنيات الاستدلالية البرهانية، إذ يشتمل على صور القضايا (المؤلفة للاستدلال) مجتمعة إلى مضامينها (مادة القضايا)، وهذا أمر

١- انظر: ميشيل مايير، محمد علي القارصي، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشيل مايير، بحث ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمّادي صمّود .

طبيعي مادام من شأن أي خطاب طبيعي أن تتوالد فيه المضامين توالداً، وتتفاعل فيما بينها تفاعلاً يؤدي إلى اغتناء الخطاب وتماسكه.

- أنه يهدف إلى تحصيل الاقتناع العملي السلوكي، ولا يقتصر فقط على تحصيل اليقين النظري كما هو الحال في البرهان، فإذا كان معيار اليقينية في هذا الأخير يتأسس على اعتبارات نظرية صرف لا صلة لها بالاعتقاد والسلوك فإن الأول يمتاز عن الثاني كونه ينشد تغيير وتوجيه اعتقادات المخاطبين وحثهم على الانتهاض إلى العمل، ولا شك أن استدلالا بهذا الوصف العملي أقوى على التوجيه وأقدر على التغيير.
- أنه يأبى الخضوع للحساب الآلي لكونه موصولاً بالمجال التداولي أوثق صلة، فلا يمكن فصل الأنساق الاستدلالية عن مقاصد المستدل وأغراضه وتوجهاته، وإذا علمنا أن المقاصد والأغراض والتوجهات تتغاير فيما بينها من ذات مستدلة إلى أخرى، أدركنا أن تكون نتائج هذا الصنف من الاستدلال غير ملزمة في كل مقام، وهذه الخاصية لا يمكن اعتبارها -بأي حال- منقصة أو مدخلا إلى الطعن فيه، والتشكيك في قدرته الإقناعية والتحصيلية، وإنما هي مزية تجعله أقدر على استيعاب التجربة الإنسانية المتميزة أساسا بالتشعب والاختلاف.

وأما ما يميز النص الاستدلالي:

يتميز النص الاستدلالي باعتباره بنية من العلاقات المنطقية والخطابية، تنطلق من مقدمات، للوصول إلى نتائج غرضها الاستمالة والتأثير والإقناع، والنصعبارة عن متوالية من الجمل المرتبطة فيما بينها، ويشترط فيه للقول بأنه نصٌ، لوجود علاقات الاتساق والانسجام[1]. أي النصية أي تلك الآليات الشكلية والمعنوية التي تربط أجزاء النص وتجعلنا نسمه بالنصية. وتجعلنا نفرقه عن غيره مما ليس بنصٍ! وإذا علمنا أن النص من منظور العالم (تون فان ديك) مرتبط بالسياق، فالقارئ هو الذي يبني انسجامه واتساقه، أو آليات السياق التي يفرضها المقال والمقام.

١- أحمد كروم، الاستدلال في معني الحروف، دراسة في اللغة والأصول، ط١، المطبعة والوراقة الوطنية.

المبحث الثالث:

التقاطعات والتباينات بين الحجاج والبرهان والاستدلال من خلال الجانب المنطق الصوري:

بعد أن أوردنا التقاطعات والاختلافات بينهم من خلال الدلالات اللغوية حيث تبين مفهوم الحجاج بمعني البرهان والاستدلال ولا تميز بينهما، إلا أن عدداً من الباحثين والمشتغلين في المجالات الفلسفية واللسانيات والتداولية قد أوردوا بعض التباينات التي تفصل وتميز بين كل مفهوم على حدة مع كون الاستدلال من المفاهيم الشاملة لكل الاختصاصات مثل الدليل واللزوم والاستنتاج والاستنباط والبرهان والقياس والحجة [١].

أوجه الاختلاف بينهم من خلال المنطق الصوري:

الاستدلال في المنطق الصوري يعد تفكير عقلي يتم من خلاله انتاج العلم بحيث لا يأتي من فراغ بل يأتي النمو المعرفي السابق الذي تميزه المبادئ والتعريفات، والمسلمات الشائعة، وهكذا اهتم أرسطو بصور الاستدلال، وقسمه إلى نوعين هما : الاستدلال المباشر والاستدلال غير المباشر، فالاستدلال المباشر يكون باستخراج قضية جديدة من قضية واحدة فقط دون التوسط بين القضية والنتيجة، أما الاستدلال غير المباشر قوامه التأليف بين قضيتين أو أكثر تنشأ عنها بالضرورة نتيجة ، ومن صوره الاستدلال القياسي الذي يرتكز على استخلاص حكم من حكم آخر، أو عدة أحكام استخلاصاً تلزمنا به الضرورة المنطقية [٢].

ويعد البرهان نوع من أنواع الاستدلال الذي يتميز بخاصية اليقين والقطعية والتقنين، حيث ينتمي البرهان في الأصل إلى مجال الاستدلالات الاستنباطية المنطقية والرياضية. ويعرفه المنطقيون بأنه قياس مؤلف من مقدمات يقينية [٣].

ويمكن تحديد التباين والتعارض بينهم في مجال وطبيعة واشتغال كل من الاستدلال البرهاني والاستدلال الحجاجي بالآتي:

١. إن الاستدلال البرهاني صوري ولا يقبل اللبس مما يعد برهنة تحليلية، بينما الاستدلال الحجاجي يعد مساراً يستخدم أحكام القيمة فهو برهنة جدلية.

١- شكري المبخوت، الاستدلال البلاغي، دار المعرفة للنشر كلية الآداب والفنون والإنسانيات بجامعة منوبة، ط١، ٢٠٠٦، ص١٧.

٢- رضوان الرقبي، ٢٠١١، ص٧٨.

٣- عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع، دار كنوز المعرفة، عمان، ط١، ٢٠١٦، ص٢٠.

٢. إن الاستدلال البرهاني مساره عقليٌ يخاطب الإدراك، بينما الاستدلال الحجاجي هدفه الإقناع على أسس عقلية.
٣. أن الاستدلال البرهاني يعد برهنة لا شخصية وهي ملزمة، بينما الاستدلال الحجاجي يعد برهنة ليست شخصية (موجهة إلى طرف ما وهي ليست ملزمة).
٤. أن الاستدلال البرهاني مجاله اليقينيات، بينما الاستدلال الحجاجي مجاله الرأي والممكن والعرف.
٥. أن الاستدلال البرهاني صوري حجة واحدة يمكن أن تكون قاطعة، بينما الاستدلال الحجاجي تكون فيه الحجج كثيرة نسبياً.

ولتوضيح الفرق بين أنواع المقدمات والاستدلالات، نأخذ الاستدلال الآتي [١]:

كل إنسان سيموت

زيد إنسان

زيد سيموت

إن النتيجة التي يؤدي إليها هذا الاستدلال نتيجة حتمية ضرورية، لأن الأمر هنا يتعلق باستدلال منطقي صوري ملزم، استدلال برهاني بقياس أدق، فالنتيجة الواردة حتمية ضرورية لا محالة وكون زيد إنسان شرط ضروري وكافٍ لتحقيق النتيجة (زيد سيموت).

أما إذا أخذنا استدلالات أخرى مثل:

الجو غائم، سينزل المطر

خالد مجتهد، إذن سينجح في الامتحان

استعد الجيش بعتاده وعدته، إذن سينتصر على أعدائه

فنجد أنها تنضوي تحت الحجاج أو الاستدلال الطبيعي. والنتيجة الواردة في الأمثلة أعلاه استدلالات احتمالية لا حتمية، فوجود الغيوم في السماء شرط كاف لنزول المطر ولكنه ليس بشرطٍ ضروريٍ لنزول المطر، وكذلك الأمر عند خالد فالاجتهاد غالبا ما يؤدي إلى النجاح ولكنه ليس بشرطٍ ضروريٍ لتحقيق النجاح، فالنتيجة هنا متوقعة ومحتملة فقط، وقد يكون الاحتمال قوياً أو ضعيفاً بحسب قوة الحجة أو ضعفها. فكذلك الامر في المثال الثالث (استعد الجيش بعتاده وعدته، إذن سينتصر على أعدائه)، فاستعداد الجيش أمر مطلوب ولكنه ليس وارداً

١- أبو بكر العزاوي، من المنطق إلى الحجاج، ص١٩-٢٠.

على جهة اليقين أن الجيش سينتصر على أعدائه، وهذا الأمر ما يجعلنا أمام استدلالٍ طبيعيٍ لا تكون نتائجه ضرورية ولا حتمية.

وعلى العموم فبين البرهان والحجاج فروقٌ أساسيةٌ ينبغي استحضارها أثناء معالجتنا لنماذج الاستدلالات المختلفة حتى لا تحيد أحكامنا عن شروط النظر الصحيح، فكثيراً ما نصادف مذاهب وتصورات في أبواب الفكر المتنوعة لا تعير هذا الأمر العناية التي يستحقها، فينتج عن ذلك فساد في النتائج ما حصل باللزوم في فساد المقدمات، فتجد من الناس من يدعي البرهانية في مقالته بما – يقتضيه ذلك من ادعاء اليقينية فيها – مع أنها راسخة في الحجاجية، وما ذلك إلا لجهل منه بأن البرهان أضيق في نطاقه إلى الدرجة التي جعلت البعض يحصره حصراً في ميدان الرياضيات، ومن بالغ في توسيع مجاله قصره على المعارف التي جعلت من الرياضيات لغتها ومن منهجِها. غير أنه – بالمقابل – لا يضير الاستدلال أن يتوسل بالطريق الحجاجي، بل لا غنى للمستدل في أغلب مقامات الاستدلال عن الأخذ بهذا الطريق ما دام التفكير الإنساني أكثر ما يكون في الأمور الاشتباهية التقريبية الترجيحية التي يتعذر فيها سلوك سبل الحساب المجرد، فيبقى اللجوء إلى الحجاج في حكم الضرورة لا الاختيار.

وأغلب الدراسات والبحوث التي لها صلة بموضوع الحجاج كانت تميزه عن البرهان، وتبين التعارض القائم بينهما، فمجال الحجاج هو المحتمل وغير المؤكد والمتوقع، وهو لصيق دوماً بالخطاب وباللغات الطبيعية، أما البرهان فمجاله المنطق واللغات الاصطناعية الرمزية بشكلٍ عامٍ.

فنلاحظ أنه كثيراً ما يتم الخلط بين مفهومي الحجاج والبرهان، فهنالك فروق كبيرة بين مفهومي الحجاج والبرهان، نذكرها في النتائج كالآتي[1] :

- أن هو الحجاج المصطلح الأعم الذي يشمل الاستدلال والبرهان، فكل حجاج استدلال، وليس كل استدلال حجاجاً، وكل برهان استدلال وليس استدلال برهاناً.
- الاستدلال الحجاجي هو خاصية ملازمة للخطاب الطبيعي، لا اللغات الاصطناعية والرمزية مثل المنطق.

١– دراسة للأستاذ رشيد الراضي من ضمن كتاب (الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة): ص٩.

- الاستدلال البرهاني متعلق بالأنساق الصورية الصناعية، أي الأنساق الرمزية ، وعليه لا تقاس قيمة البرهان برأي أو موقف الآخر منه وتقييمه له.
- الاستدلال الحجاجي مغاير للاستدلال البرهاني، فالاستدلال البرهاني يميل إلى اللزوم المنطقي في إطار اليقينيات [1]، أي ينطلق من مقدمات تستلزم بالضرورة نتائج حتمية ، بخلاف الاستدلال الحجاجي الذي يقوم على منطلقات غير يقينية وتكون نتائجها احتمالية.
- البرهان يهتم بترتيب الحقائق، بعكس الحجاج الذي يهتم بترتيب القيم المتعلقة بالمحتمل [2].
- الحجاج موجه دائماً إلى مخاطب، كيف ما كان، فهو يقتضي وجود طرفين متنازعين ينطلقان من الاختلاف بحثاً عن الاتفاق بطريقة الإقناع، أما البرهان فهو يحدد بكونه استنتاجاً قائماً على قواعدَ مضبوطةً ومحددةً سلفاً اعتماداً على قضايا هي أما مسلمات أو مبرهنات.
- الغرض النهائي من الحجاج هو الإقناع، أما غاية البرهان هي الصحة المنطقية.
- العبارات الموجودة في البرهان تكون مستقلةً بعضها عن بعض، وتتآلف فيما بينها على أساس جملة من العلاقات الصورية دون مراعاة للقيم الداخلية التي تضمنتها هذه العبارات (معانيها، إحالاتها الخارجية)، بحيث تستمد هذه التأليفات مشروعيتها من خصائص القوانين الصورية. بخلاف الحجاج الذي يتميز باستجابته للقيم الداخلية، أي أن المعنى يلعب دوراً حاسماً في الانتقال بين الوحدات في العملية الحجاجية.
- يتميز الحجاج بارتكازه على ما يسمى بالمواضع وهي: مجموعة من القيم والمعايير والعلاقات المتميزة بطبيعتها الظنية واللا يقينية، ولكنها مع ذلك تتمتع بشهرةٍ ومقبوليةٍ لدى عامة الناس نتيجة توافقها مع الحس القويم المشترك، إن هذه المواضع تقوم في الحجاج مقام القوانين والقواعد العقلية الضرورية التي يقوم عليها الاستدلال في المصوغات البرهانية، وهي عادة ما تشكل سنداً لكل عمليةٍ حجاجيةٍ،

١- عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع، ص ٢٢.

٢- عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٦، ص١٢٥.

مقابل ذلك أن العملية الحجاجية تقوم على المواضع المشتركة، فالحجة الأولى مثلاً تستمد قوتها من موضع مشترك يمثل قاعدةً عامةً مشهورةً يسلم بها أغلب الناس.

- هناك خاصية أخرى تميز الحجاج عن البرهان، وهي متفرعة عن الخاصية السابقة، فقد قلنا إن الموضع المشترك قاعدةٌ عامةٌ يقبل بها أغلب الناس وليس كلهم، ويرجع ذلك إلى طبيعته الظنية المتحصلة من مرجعيته القيمية والثقافية النسبية المتغيرة بحسب المقامات والسياقات والعوائد والظروف والأحوال، من هنا كان الحجاج الذي يشكل الموضع قاعدته مفتوحا دائما على الاعتراض وقابلا باستمرار للدحض والتفنيد والمنازعة.
- ما يميز الخطاب الحجاجي أنه يقبل الورود في صورة ضمنية عكس البرهان الذي يلزم فيه التصريح بكل مكوناته، فقد يتم في عملية من العمليات الحجاجية إضمار جزء من أجزائها على فرض أن المخاطب قادر على تقديرها بفضل القرائن المقامة والسياقية، ولا يشكل هذا الإضمار نقصا في الحجاج، بل على العكس من ذلك يعتبر الإضمار ميزة في الخطاب الطبيعي يجعله في بعض الأحيان أبلغ أثراً في تحقيق الهدف الأساس من العملية الحجاجية وهو الإقناع، بالإضافة إلى فائدة الإضمار في أمور أخرى تتصل بالطبيعة الاجتماعية للتواصل اللغوي عموما [1].

الخاتمة:

تناول هذا البحث: (ما بين الحجاج والبرهان والاستدلال) من جوانب مختلفة وتطرق إلى ما بينهم من تقاطعات في المصطلحات مع بيان أوجه الاختلاف وأوجه الشبه بينهم، وذلك من خلال الوقوف على رصد المفاهيم اللغوية وفق ما وردت في المعاجم وكذلك الفصل فيها من وجهة نظر المختصين والمهتمين في مجال الحجاج الذين باينوا وغايروا بينها حيث انتهج الباحث في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي لما يفيد في وصف الظواهر الحجاجية، والبرهانية والاستدلالية وأيضا تناول الفرق بين الحجاج والبرهان والاستدلال بالإضافة إلى الدلالة اللغوية لكل من الحجاج والبرهان والاستدلال، والخطاب الحجاجي وأثر الحجاج على الاستدلال والبرهان، وغيرها من المواضيع التي تأتي فيما بعد متضمنة في مباحث البحث، حيث تبين جلياً أن هناك تباين

١- عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته من خلال مصنف في الحجاج، مرجع سابق، ص٢٩٩.

وتقاطعات واضحة بين كل مصطلح حاول البحث أن يبرزها بوضوح، فقد تناول البحث جانبين أساسيين ومهمين هما:

الأول: مفهوم الحجاج والبرهان والاستدلال ، واشتمل على ثلاثة مباحث: المبحث الأول بعنوان: المفهوم اللغوي لكل من الحجاج والبرهان والاستدلال، والمبحث الثاني بعنوان: المفهوم الاصطلاحي لكل من الحجاج والبرهان والاستدلال، والمبحث الثالث بعنوان: رؤية عن الحجاج والبرهان والاستدلال في بعض الدراسات:

ومن خلال هذا الفصل اتضح أن الاستدلال الحجاجي مغاير للاستدلال البرهاني، فالاستدلال البرهاني يجنح إلى اللزوم المنطقي في إطار اليقينيات، أي ينطلق من مقدمات تستلزم بالضرورة نتائج حتمية، بخلاف الاستدلال الحجاجي الذي يقوم على منطلقات غير يقينية تكون نتائجه احتمالية، أيضاً يمكن أن نقول أن البرهان يفيد من الحجاج في صوغ استدلالاته في قالب لغوي، لكن الحجاج ليس هو البرهان، أيضا الحجاج يقبل الورود في صورة ضمنية عكس البرهان الذي يلزم التصريح بكل مكوناته. كما اتضح لنا أنه لا غنى للمحاج في الخطاب الطبيعي عن انتهاج مسالك الحجاج.

الثاني: أوجه الاختلاف والتشابه بين الحجاج والبرهان والاستدلال، وقُسم هذا الفصل أيضاً إلى ثلاثة مباحث: المبحث الأول بعنوان: التقاطعات والتباينات بين الحجاج والبرهان والاستدلال من خلال الجانب الدلالي، وتناول الباحث فيه التقاطعات بين الحجاج والبرهان والاستدلال من خلال المفاهيم اللغوية والدلالات والمعاني وشروط النص الاستدلالي شروط، والمبحث الثاني بعنوان: التقاطعات والتباينات بين الحجاج والبرهان والاستدلال من خلال الجانب المنطقي الطبيعي، وتناول الباحث فيه التمييز بين الاستدلال الحجاجي والاستدلال البرهاني والجانب التداولي والجانب التداولي وما يميز النص الاستدلالي، والمبحث الثالث بعنوان: التقاطعات والتباينات بين الحجاج والبرهان والاستدلال من خلال الجانب المنطق الصوري:

وتناول الباحث فيه الفروق الكبيرة بين مفهوم كل من الحجاج والبرهان والاستدلال بالإضافة إلى أوجد الشبه والتقاطعات بينهم.

وفي هذين الفصلين ركز الباحث على تنوع دلالات الحجاج والبرهان والاستدلال وأوجه الشه والاختلاف بين الحجاج والبرهان والاستدلال في كثيرٍ من

الحقول المعرفية وذلك من خلال التباينات والتقاطعات من الجانب الدلالي والجانب المنطقي الطبيعي والمنطق الصوري.

النتائج:

أما أبرز النتائج التي توصل إليها البحث فأوجزها في الآتي:

- كل من الحجاج والبرهان غايته الوضوح، وإزالة اللبس والغموض عن القضايا المدافع عنها حتى تصير واضحة لا يعتريها أي لبس.
- إن الحجاج هو المصطلح الأعم الذي يشمل الاستدلال والبرهان، فكل حجاج استدلال، وليس كل استدلال حجاجاً، وكل برهان استدلال وليس كل استدلال برهاناً.
- البرهان آلية استدلالية فقيرة مقارنة بالحجاج.
- الاستدلال الحجاجي هو خاصية ملازمة للخطاب الطبيعي، لا اللغات الاصطناعية والرمزية مثل المنطق.
- الاستدلال البرهاني متعلق بالأنساق الصورية الصناعية، أي الأنساق الرمزية، وعليه لا تقاس قيمة البرهان برأي أو موقف الآخر منه وتقييمه له.
- الاستدلال الحجاجي مغاير للاستدلال البرهاني، فالاستدلال البرهاني يميل إلى اللزوم المنطقي في إطار اليقينيات، أي ينطلق من مقدمات تستلزم بالضرورة نتائج حتمية، بخلاف الاستدلال الحجاجي الذي يقوم على منطلقات غير يقينية وتكون نتائجها احتمالية.
- البرهان يهتم بترتيب الحقائق، بعكس الحجاج الذي يهتم بترتيب القيم المتعلقة بالمحتمل.
- الحجاج موجه دائماً إلى مخاطب، كيف ما كان، فهو يقتضي وجود طرفين متنازعين ينطلقان من الاختلاف بحثاً عن الاتفاق بطريقة الإقناع.

ختاماً، يمكنني القول بأن الدراسة قد تقصت مفهوم الحجاج والبرهان والاستدلال وما بينهم من تقاطعات وتباينات من خلال الجانب الدلالي والمنطقي الطبيعي والمنطقي الصوري.

كما يأمل الباحث أن يكون قد أسهم بهذا البحث في فتح طرق جديدة لدراسة مصطلحات الحجاج والبرهان والاستدلال وإماطة اللثام عن مضامينها وإظهار ما بينها

من تقاطعات وتباينات، وفي تنوير سبيل الباحثين اللغـويين علـى ملامـح إبـداعها، وتطـوير أدواتهم الحجاجية والبرهانية.

التوصيات:

ويوصي الباحـث بالاهتمـام بدراسـة الاسـتدلال البرهـاني لأنـه يقـوم بترتيـب الحقائق، بعكس الحجاج الذي يهتم بترتيب القـيم المتعلقـة بالمحبـذ والمحتمـل ودراسـة دور الأساليب الحجاجية في الكشف عن المعنـى فـي الخطابـات الأدبيـة. كمـا يوصـي الباحـث بالتوسع في دراسة مصطلحات الحجاج والبرهان وأثرها على الخطاب اللغوي.

المراجع

١- إبراهيم أنيس وآخرون(٢٠٠٤)، **المعجم الوسيط**، مجمـع اللغـة العربيـة،ط٤، مكتبـة الشروق الدولية، القاهرة.

٢- ابن الحاجب(١٩٨٣)، **منتهى الوصول والأمل فـي علمـي الأصـول والجـدل**، ط ١، دار الكتب العلمية.

٣- ابن حزم الأندلسي(١٩٨٣)، **الإحكام في أصول الأحكـام**، تحقيـق: أحمـد شـاكر،ط٢، دار الآفاق الجديدة.

٤- ابن عاشور، الإمام الـشيخ محمـد الطـاهر. (١٩٨٤)، **تفـسير التحريـر والتنـوير**، الناشر: الدار التونسية للنشر- تونس.

٥- ابن فارس(١٩٧٩)، **معجم مقاىيس اللغـة**، تحقيـق: عبـد الـسلام محمـد هـارون، دار الفكر، مادة / حجج.

٦- ابن منظور(١٩٩٧)، **لسان العرب**، تحقيق عبـد الـسلام محمـد هارون، مـادة حجـج، مج٢، دار صادر، بيروت، لبنان.

٧- أبو المظفر منصور بن محمد بـن عبـد الجبـار الـسمعاني(١٩٩٨)، **قواطـع الأدلـة**، تحقيق: عبد الله بن حافظ بن أحمد الحكمي، ط١، مكتبة التوبة، المجلد٢.

٨- أبو بكر العزاوي.(٢٠١٦)، **من المنطق إلى الحجاج**، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن.

٩- أبو بكر العزاوي.(٢٠٠٩)، **الحجاج في اللغة، بحث ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته**، إشراف د. حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن.

١٠-أبـو حامـد الغزالـي. (١٩٩٨)،**المنخـول فـي علـم الأصـول**، ط٣، دار الفكـر المعاصر- بيروت، لبنان.

١١-أبو هلال العسكري، **الصناعتين**، تحقيق علي محمد البحاري، ط٢، دار الفكر العربي.
١٢-أبو يعلي محمد بن الحسين ابن الفراء. (١٩٩٠)، **العدة في أصول الفقه الجزء الأول**، جامعة الملك سعود.
١٣-أحمد الشرقاوي. (١٩٩٣)، **معجم المعاني الجامع**، ط٢، دار الغرب الإسلامي.
١٤-أحمد كروم، **الاستدلال في معني الحروف، دراسة في اللغة والأصول**، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش.
١٥-الأشعري (١٩٨٧)، **مقالات الأشعري**، دار الشرق، بيروت.
١٦-آمال يوسف المغامسي(٢٠١٦)، **الحجاج في الحديث النبوي**، دراسة تداولية، الدار المتوسطية للنشر، الجمهورية التونسية، ص٢٧.
١٧-بيرلمان وتيتيكاه(١٩٥٨): **مصنّف في الحجاج، الخطابة الجديدة**، منشورات الجامعة الفرنسيّة، تعريب الدّكتور عبد الله صولة.
١٨-تاج الدين السبكي(٢٠٠٨)، **رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب**، تحقيق، علي محمد عوض – عادل أحمد عبد الموجود، المجلد٤.
١٩-التلمساني (١٩٩٨)، **مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول**، المكتبة المكية، مكة المكرمة، مؤسسة الريان، بيروت.
٢٠-الغزي محمد صدقي (١٩٩٦)، الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية، مؤسسة بيت الرسالة، بيروت، لبنان، ط٤.
٢١- الفتوحي، تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد المعروف بابن النجار الحنبلي. (١٩٩٧)، شرح الكوكب المنير، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان.
٢٢-القرافي، أبو العباس شهاب الدين. (٢٠٠٨)، شرح تنقيح الفصول، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، ط١، شركة الطباعة الفنية المتحدة، ١٩٧٣. مجلة دراسات أدبية، العدد ١.
٢٣- التهانوي، محمد علي (١٩٩٦)، **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، تحقيق علي دحروج، مكتبة لبنان.
٢٤-تولمان (١٩٥٨) "**استعمال الحجاج**" فقد صدرت في منشورات جامعة كامبريدج. ج ٣.

٢٥- الجرجاني علي بن محمد (١٩٨٣)، **معجم التعريفات**، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.
٢٦-الجصاص الرازي، أبي بكر احمد بن علي (٢٠١٠)، **الفصول في الأصول**، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٢٧-جميل حمداوي(٢٠١٤): **من الحجاج إلى البلاغة الجديدة**، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء.
٢٨-جميل حمداوي (٢٠٢٠)، **أنواع الحجاج ومقوماته**، مطبعة بتطوان، الدار البيضاء.
٢٩-جميل عبد المجيد(٢٠٠٠)،**البلاغة والاتصال**، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د ط.
٣٠-الجويني، أبو المعالي (١٩٩٧)، **البرهان في أصول الفقه**، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.
٣١-الحواس مسعودي، البنية الحجاجية في القرآن الكريم "سورة النمل نموذجا"، مجلة اللغة والأدب، العدد ١٢.
٣٢-الرازي (١٩٩٢)، الكاشف عن أصول الدلائل وفصول العلل، دار الجيل، بيروت.
٣٣-الشنقيطي، عبد الله بن إبراهيم العلوي (٢٠٠٨)، نشر البنود على مراقي السعود، المجلد٢، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٤-الشيخ محمد رضا المظفر(١٤٣١ه)، كتاب المنطق، البرهان، مؤسسة النشر الإسلامي.
٣٥-الروكي محمد(١٩٩٤)، نظرية التقعيد الفقهي وأثرها في اختلاف الفقهاء، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المملكة المغربية.
٣٦-الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم (٢٠٠٣)، شرح اللمع، تحقيق: عبد المجيد التركي، دار الكتب العلمية، ط٢.
٣٧-العطار، حسن بن محمد بن محمود (٢٠١٥)، حاشية العطار على شرح جلال الدين المحلي على جمع الجوامع، دار الكتب العلمية.
٣٨-حافظ إسماعيل علوي(٢٠١١): الحجاج، مفهومه ومجالاته ٢٠/١، دار ورد، ج٦.
٣٩-حبيب أعراب(٢٠٠١)، **الاستدلال الحجاجي**، مجلة عالم الفكر، مجلد ٣٠، عدد ١.

٤٠-حجازي، عوض الله جاد(٢٠٠٠)، **المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم**، دار الكتاب المحمدي.
٤١-حسان الباهي (٢٠٠٤)، **الحوار ومنهجية التفكير النقدي**، الدار البيضاء، د ط ، أفريقيا الشرق، المغرب.
٤٢-حمادي صمود (١٩٩٩)، **من تجليات الخطاب البلاغي**، تونس، دار قرطاج.
٤٣-رضوان الرقبي (٢٠١١)، **الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله**، عالم الفكر، العدد ٢، المجلد ٤٠، أكتوبر، ديسمبر، ص ٨١.
٤٤-زكريا السرتي (٢٠١٤)، **الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر**، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن.
٤٥-شكري المبخوت (٢٠٠٦)، **الاستدلال البلاغي**، دار المعرفة للنشر كلية الآداب والفنون والإنسانيات بجامعة منوبة.
٤٦-شكري المبخوت (١٩٩٨)، **نظرية الحجاج في اللغة، ضمن مصنف الحجاج في اللغة الغربية من أرسطو إلى اليوم:** إشراف حمادي صمود، جامعة منوبة، تونس.
٤٧-صولة عبد الله (٢٠٠١)، **عن الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية**، كلية الآداب والفنون منوبة، جامعة منوبة، تونس.
٤٨-طه عبد الرّحمن (١٩٩٨)، **اللّسان والميزان أو التّكوثر العقليّ**، المركز الثّقافيّ العربيّ، الدار البيضاء، الدّار البيضاء.
٤٩-طه عبد الرحمن (٢٠٠٠)، **في أصول الحوار وتجديد علم الكلام**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط٢.
٥٠-عباس حشاني(٢٠١٣)، **مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته**، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، مجلة المخبر، العدد٩، جامعة بسكرة، الجزائر.
٥١-عبد الرازق، محمد حسنين(١٩٢٨)، **علم المنطق الحديث**، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة.
٥٢-عبد الرحمن حبنكة الميداني (١٩٧٥): **ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة**، تحقيق: حسين مؤنس ، دار القلم، دمشق.

٥٣-عبد السلام عشير(٢٠٠٦)، **عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج**، أفريقيا الشرق، المغرب.
٥٤-عبد العالي قادا (٢٠١٦): **بلاغة الإقناع**، دراسة نظرية تطبيقية، دار كنوز المعرفة. عمان، وسط البلد.
٥٥-علي بن محمد الآمدي سيف الدين أبو الحسن (٢٠٠٣)، **منتهى السول في علم الأصول**، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية.
٥٦-محمد العمري. في بلاغة الخطاب الإقناعي، دار الثقافة الدار البيضاء.
٥٧-محمد المودن(٢٠١٩)، **قضايا حجاجية في علم الكلام**، مطبعة باب الحكمة، تطوان، المغرب.
٥٨-محمد الولي(١٩٩٦)، **بلاغة الحجاج**، المغرب، http://www.saidbengrad.com.
٥٩-محمد طروس (٢٠٠٥)، **النظرية الحجاجية**، من خلال الدراسات الحجاجية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، الدار البيضاء.
٦٠-محمد علي القارصي، **البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشيل مايير**، بحث ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمّادي صمّود.
٦١-محمد مصطفى شلبي(١٩٧٨)، **أصول الفقه الإسلامي**، ط ٢، دار النهضة العربية، بيروت .
٦٢-مهابة، محفوظ، **الحجاج دراسة مصطلحية**، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، العدد ٧١
٦٣-نعمان بوقرة (٢٠٠٩)، **اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها**، عالم الكتب.
٦٤-وهبة، مراد(٢٠٠٧)، **المعجم الفلسفي**، ادار القباء الحديثة.